

## البصرة في حياة الجاحظ

زاجية عبد الرزاق حسن♦

المقدمة:

كانت البصرة موئلاً من أعظم موائل العلم وبيئة من أخصب البيئات الثقافية يلتقي فيها العلماء والأدباء من مختلف شعوب الشرق في آسيا وأفريقيا ويجتمعون بالمريد أو المسجد وكانوا يسمون بالمريبيين أو المسجديين وتكون لهم حلقات من أمتع حلقات العلم والدرس والأدب وفي البصرة هذه البيئة الخصبة الأهلة بالعلم والثقافة ولد الجاحظ .

لقد كانت البصرة منذ تأسيسها تموج بالعلماء وتحفل بالشعراء وتضم اللغويين والنحاة وتعنى بما يترجم وترعى المثقفين ولم تمضى سنوات طويلة حتى أصبحت أهم الأمصار الإسلامية تتدفق منها أسراب العلماء وتنفذ إليها قوافل الطلاب وتصطبغ بالمجالس العلمية التي تثار فيها شتى الموضوعات فقد كانت منبراً حراً يعلن الناس آراءهم فيه تؤمن برسالتها وتحفظ كيائها وكان اتصالها بالآخرين سريعاً على الرغم من قلة الوسائل وقد أشار الجاحظ إلى سرعة انتقال الكتب والأخبار فقال ((ومما يدل على نفع الكتاب أنه لولا الكتاب لم يجز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد وواسط ما كان بالبصرة وما يحدث بالكوفة في بياض يوم حتى تكون الحادثة بالكوفة غدوة فتعلم بها أهل البصرة قبل المساء))<sup>(١)</sup> .

الجاحظ بصري المولد والمنشأ والوفاة<sup>(٢)</sup>، ولد من أبوين فقيرين<sup>(٣)</sup>، وتوفي والده وهو في حداثة السن<sup>(٤)</sup> في حين ذكر بعض الباحثين المحدثين أنه ولد يتيم الأب<sup>(٥)</sup>، أمّا أمه فلا يعرف عنها شيئاً سوى أنها كانت فقيرة وكانت تكفله وتتولى أمره وهو صغير<sup>(٦)</sup> مما اضطره الى كسب قوته ومواجهة أعباء الحياة مبكراً، فباع الخبز والسمك في منطقة سيحان<sup>(٧)</sup> .<sup>(٨)</sup>

ويصف أحد الباحثين حال أسرة الجاحظ فيقول ((وانحدر الجاحظ من أسرة رقيقة الحال انتهى أمرها بأن جاوزت أسر الموالى في أحد أحياء البصرة فكانت بيوتهم من القصب والبعض الآخر من الأجر والأولاد يخوضون في الوحل ويتراشقون بالحصى ونوى التمر بينما أمهاتهم من خشوة النساء يصرخن عليهم بلا جدوى))<sup>(٩)</sup>.

ونشأ الجاحظ في البصرة وعاش ما عاش شديد التعلق بها والحنين إليها وكان من أبرز خصائصه هذه الطوعية لعصره وبيئته التي يحيا فيها، فهو في حقيقته صورة بصرية كاملة تتمثل فيه هذه المدينة بنواحيها المختلفة ومهما يكن في الجاحظ من تناقض أو تعارض فإنما يرجع إلى تناقض مظاهر الحياة

♦ مدرس دكتورة في جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم التاريخ



في هذه المدينة فهو قد تأثر بها تأثراً كاملاً إذ كان قد أُتيح له بطبيعته الخاصة وطبيعة الظروف التي أحاطت به أن يعيش فيها عيشاً حقيقياً ينفذ به إلى بواطنها وتنفذ به إلى بواطنه<sup>(١٠)</sup>.

وحدثنا الجاحظ عن البصرة مدينته المفضلة ومسقط رأسه فقد ولد ونشأ فيها وعاش ما عاش شديد التعلق بها والحنين إليها ويدل على علو منزلتها فيقول ((العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق))، وعن أهل البصرة قال الجاحظ ((ويدل على صلاح مائهم وكثرة دورهم وحسن حقولهم ورفق أكفهم وحذقهم لجميع الصناعات وتقدم ذلك لجميع الناس))<sup>(١١)</sup>.

تقع حياة الجاحظ كما تقع حياة كثير من الشخصيات المعاصرة له من أهالي البصرة في عهدين متميزين عهد بصري وعهد بغدادى وفي الأول استقبل الحياة وظل يستقبل معها الأسباب والعوامل المختلفة التي تهيأت له وهيأت شخصيته وأعدته لذلك العهد الآخر البغدادي حيث أخذ مكانه في العالم العلمي والأدبي وأخذت ملابسات الحياة فيه تستدر إنتاجه وتبرز مظاهر شخصيته فالحمد البصري هو عهد التحصيل والعهد البغدادي هو عهد الإنتاج وربما بدأ إنتاجه في العهد الأول ولكن التحصيل هو السمة الغالبة عليه والمظهر البارز فيه بالقياس إلى العهد الثاني الذي كان فيه رجلاً ناضجاً مستكمل الشخصية موفور الوسائل الأدبية<sup>(١٢)</sup>.

وقد ظل الجاحظ وفيّاً لمدينة البصرة حتى بعد استقراره في بغداد مقر الخلافة ويؤكد هذا القول شارل بلات في كتابه عن الجاحظ والبصرة فيقول ((إن الجاحظ في الواقع نتاج صاف للبصرة حيث قضى فيها القسم الأوفى من حياته ولكنه كان نبتة إقليمية تغذت بنسغ قوي مستمد من أرض خصبة فلم تتفتح بصورة كاملة ولم تؤث ثمارها إلا في العاصمة بغداد))<sup>(١٣)</sup>.

إن كتب الجاحظ ورسائله من مصادر البصرة المهمة لأن مؤلفها كان صورة صادقة لهذه المدينة التي ولد وعاش ومات فيها، ولا يعرف مؤلف كالجاحظ صور بيئته تصويراً دقيقاً، فقد كانت البصرة في كل نبضة من نبضات قلبه وفي كل كلمة من كلماته فهو لم يفتأ يتحدث عنها أو ينقل خبراً أو يذكر نادرة أو قصة أو طرفة، فكتبه ورسائله تزخر بما يتصل بهذه المدينة ولذلك تعد من أهم المصادر عنها في القرون الثلاثة الأولى لأنه ذكر فيها كثيراً مما قرأ وسمع وكثيراً مما شاهد وجرب وكان مغرمًا بمدينته شديد الحميمة لها يدافع عنها ويرد ما يوجه إليها، وتتجلى هذه النزعة في كتابه الأوطان والبلدان حينما تحدث عنها فقال ((كان يقال الدنيا البصرة))<sup>(١٤)</sup>. ونقل كلام جعفر بن سليمان ((العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة وداري عين المربد))<sup>(١٥)</sup>. ورد ما قاله أهل الكوفة من سرعة الخراب إلى أرض البصرة وخبث ترابها وسرعة غرقها فقال ((وكيف تغرق وهم لا يستطيعون أن يوصلوا ماء الغيض إلى حياضهم إلا بعد أن يرتفع ذلك الماء في الهواء ثلاثين ذراعاً في كل ساقية بعينها لا لحوض بعينه))<sup>(١٦)</sup>.



أما البيئات التي عاش فيها حياته الأولى وكان لها أثرها البالغ في نشأته وفي تكوين شخصيته وتبين العلاقة بين ظروف البيئة والألوان المبدعة تحت تأثيرها والعلاقة الموضوعية أمر هام جداً في تحديد نوعية الصلة بين الأديب ومجتمعه ولقد أدرك الجاحظ بنفاذ لا حد له الكيفية التي يتفاعل بها الأديب مع الواقع الملموس حين يريد أن يصور ظاهرة من الظواهر الاجتماعية من خلال نموذج إنساني جاء في حكاية أبي القاسم البغدادي قال أبو عثمان الجاحظ في فصل من كلامه ((وإنّا مع هذا نجد الحاكية من الناس يحكي ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيئاً وكذلك تكون حكايته المغربي والخراساني والأهوازي والسندي والزنجي نعم حتى تجده أطبع منهم فأما إذا حكي كلام (الفأفة) فكأنما جمع كل طرفه في كلام كل فأفة في الأرض على لسان واحد كما أنك تجده يحاكي الأعمى بصورة ينشئها بوجهه وعينه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحداً يجمع ذلك كله فكان هذا الحاكي قد جمع ما هو مفترق فيهم وحصر جميع طرف حكايات العميان في أعمى واحد))<sup>(١٧)</sup>.

إن البيئة الأولى من البيئات التي عاش الجاحظ فيها حياته الأولى وكان لها أثرها البالغ في نشأته وفي تكوين شخصيته وهي الحياة العاملة في البصرة وهي لم تكن بالمدينة الصغيرة المحدودة وإن الحياة فيها لم يقدر لها مطلقاً أن تكون هادئة ساكنة بل كانت مدينة كبيرة واسعة تزخر بأهلها الذين كانوا يتضاعفون دائماً وكذلك كانت الحياة فيها معقدة أشد التعقيد متدافعة أعنف التدافع جيشة فواردة بمختلف النزعات وشتى النزوات وقد حملت في نفسها جراثيم هذه الحالة منذ أسست في ذلك الموقع، إذ تطل من جهة على البحر الذي يصلها بالهند والشرق الأقصى وبلاد بحر الروم ويجعلها من أولى المدن التجارية الكبرى ويطلع أهلها بذلك الطابع المعقد الملتوي الذي تمتاز به المدن التجارية وهي من جهة أخرى تشرف على الصحراء العربي وتستقبل منها أهل البادية بما فيهم من صفاء وصراحة واستقامة وبساطة هذا إلى تكوينها الاجتماعي فهي تضم بين جوانحها شتى الأجناس البشرية تقريباً ولكل جنس منها خلقه ومزاجه وطابعه في تفكيره وتصرفاته<sup>(١٨)</sup>.

وكذلك لم تكن طبيعة الحياة فيها لتجعل من هذه الأجناس المختلفة فصائل تعيش متصلة مستقلة متميزة وإنما هي في اتصال دائم ومنافسة مستمرة فتحتك الطبائع وتلاقح الأمزجة وتزداد بذلك تعقداً والتواء ومن مظاهر ذلك أسواق البصرة إذ يكون الاحتكاك في أشد صورته والتنافس في أعنف أشكاله وتتكشف الأخلاق الملتوية وتبرز الطبائع المعقدة وتستطيع البصيرة القوية أن تجد فيها مجالاً واسعاً للمراقبة والمقارنة وتعرف النزعات المستكنة بالشواهد الظاهرة، وهذا - ولا ريب - من أمتع الدراسات النفسية وأحقها<sup>(١٩)</sup>.



## ١. الكتاب :

نستطيع أن نتتبع المناهل التي نهل منها ثقافته منذ صباه ذلك أن نشأته المتواضعة في كفالة أمه لم تكن لتعفيه من أن يمضي إلى (الكتاب) ليتعلم ما كانت الكتاتيب تقوم بتعليمه لصبيان الطبقة الدنيا من أمثال أولاد القصابين<sup>(٢٠)</sup> وكانوا يتعلمون فيها القراءة وشيئاً من النحو والفقه والحساب ويحفظون بعض القرآن وبعض الأشعار<sup>(٢١)</sup> فكانت نشأة متواضعة يسعى فيها ليعيش بكسب يديه فيبيع الخبز والسمك بسيحان في البصرة<sup>(٢٢)</sup>.

وهو يذكر بعض من تعلم عليهم في صباه يقول ((وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدري بصنوف العلم ولا أحسن بياناً من أبي الوزير وأبي عدنان المعلمين وحالهما من أول ما إذكر من أيام الصبا))<sup>(٢٣)</sup>. وفي هذه السن المبكرة أخذ الجاحظ بالتردد على حلقات العلم في مسجد البصرة الجامع ووصف نفسه بأنه كان ((يومئذ حدث السن))<sup>(٢٤)</sup>.

ولقد رسم السندوبي لوحة سريعة عن منظمات التعليم الأولى في البصرة، قال ((كان الرجل يبعث بولده إلى كتاب الحي فيتعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة ويشدو شيئاً من قواعد النحو والصرف ويتناول طرفاً من أصول الحساب ثم يستظهر كتاب الله الكريم استظهاراً تاماً مجوداً مرتلاً وهو في خلال ذلك يتردد مع أترابه على القاص فيسمع منه أحداث الفتوح وأنباء المعارك وأخبار الأبطال ومقاتل الفرسان ومفآخرات الشجعان وسير الغزاة والفاتحين ممزوجاً ذلك بالمواعظ والعبر وإيراد أحوال الصالحين وأطوار الزهاد والنساك والمتقين))<sup>(٢٥)</sup>.

أما عن مواهب الجاحظ الذاتية فإن أولى هذه المواهب الفتنة الشديدة بالاطلاع والهوى الجامح بالقراءة مع ذاكرة واعية وذهن صاف وهي موهبة نشأت معه وظهرت على أتمها في طفولته رغم فقر أسرته ووفاء أبيه وإسلام الجاحظ في طفولته الأولى إلى أمه يعتمد في حياته عليها وعلى وسائلها المحدودة فهذا الطفل الفقير اليتيم الذي اشتغل ببيع الخبز والسمك في صغره مساعدة لأمه ولنفسه لا يستهويه الطعام والشراب واللعب شأن أترابه وإنما يستهويه لوح الكتاب الذي يتعلم فيه والدفاتر والكتب التي تصل إليها يده يلتهمها التهاماً ويستغرق فيها استغراقاً ويطلب منها المزيد دائماً ويتردد على مسجد البصرة ويستمتع إلى علمائه وتفتنه مناظراتهم<sup>(٢٦)</sup>.

فلقد أولع بالعلم منذ صغره فذهب إلى الكتاتيب ولكنه لم يستطع أن يتفرغ للعلم بسبب فقره فكان يكتري دكاكين الوراقين ((أصحاب المكتبات)) في الليل ليطالع ما فيها من كتب ويعمل في النهار لتحصيل قوت يومه وكثيراً ما كان يحب الدرس والمطالعة يسند به فيقعد عن العمل منصرفاً إلى الكتب<sup>(٢٧)</sup>.

كان للجاحظ منذ نعومة أظفاره ميل واضح ونزوع عارم إلى القراءة والمطالعة حتى ضجرت أمه وتبرمت به<sup>(٢٨)</sup>، وظل هذا الميل ملازماً له طيلة عمره حتى أنه فيما اشتهر عنه لم يكن يقنّع أو يكتفي



بقراءة الكتاب والكتابين في اليوم الواحد بل كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للقراءة والنظر في الكتب (٢٩).

إن الجاحظ ذهب إلى الكتاب وإن أهله لم يكونوا ميسورين وقد أصبح الميل للدرس وهو محمود في ذاته آفة في الأسر الفقيرة التي يتوق أفرادها إلى رؤية أولادهم يحتلون مراكز في الحياة فيكفونهم بذلك مؤونة تكاليفهم المادية وهذا ما حدث للجاحظ إذ لدينا بهذه المناسبة خبر ذكر ((روي أنه كان في حادثته مشغلاً بالعلم وأمه تقوم بأوده فجاءته يوماً بطبق كراريس فقال ما هذا؟ قلت : هذا الذي تجيء به فخرج مغتماً وجلس في الجامع ومويس بن عمران<sup>(٣٠)</sup> جالس فلما رآه مغتماً قال له : ما شأنك فحدثه الحديث فأدخله المنزل وقرب إليه الطعام وأعطاه خمسين ديناراً فدخل السوق واشترى الدقيق وغيره وحمله الحمالون الى داره فانكرت الأم ذلك وقالت من أين لك هذا ؟ قال : من الكراريس التي قدمتها إلي ))<sup>(٣١)</sup>. إذ إنه نشأ يتيماً ميالاً الى العلم<sup>(٣٢)</sup>، ونستنتج من هذه الحكاية أن أمه التي تجيد في بعض الأوقات التهمك لم تكن راضية عن اتجاه ابنها نحو الدرس وذلك قبل أن يضمن عيش أسرته ونستنتج أيضاً أن الطلاب لم يكونوا ينالون المساعدات الدراسية بل كانوا يعتمدون على مواردهم الخاصة أو على هبات أنصار العلم والأدب كمويس بن عمران الذي حفظ له الجاحظ جميله<sup>(٣٣)</sup>.

فلم يكن فقر الجاحظ ليمنعه من أن يمضي الى الكتاب أو من أن يتلقى مبادئ القراءة والكتابة فأورد ما يؤيد ذلك في كتاب الحيوان إذ يقول ((وأنا- حفظك الله- رأيت كلباً مرة في الحي ونحن في الكتاب فعرض له صبي يسمى مهدياً من أولاد القصابين وهو قائم يحو لوحه فعض وجهه ففقع ثنيته دون موضع الجفن من عينه اليسرى فحرق اللحم الذي دون العظم الى شطر خذه فرمى به ملقياً على وجهه وجانب شذقه وترك فعلته صحيحة وخرج من الدم ما ظننت أنه لا يعيش معه وبقي الغلام مبهوراً قائماً لا ينسى وأسكته الفزع وبقي طائر القلب ثم خيط ذلك الموضع ورأيت بعد ذلك بشهر وقد عاد الى الكتاب وليس في وجهه من الشتر إلا موضع الخيط الذي خيط فلم ينبج الى أن بُري ولا هر ولا دعا حتى إذا رآه صاح به ردوه ولا بال جروا ولا علقا ولا أصابه مما يقولون قليل ولا كثير ولم أجد أحداً من تلك المشايخ يشك أنهم لم يروا كلباً قط أكلب ولا أمد طبعاً منه فهذا الذي عاينت وأما الذي بلغني عن هؤلاء النفاة فهو الذي كتبت لك ))<sup>(٣٤)</sup>. فهذه الحادثة توصلنا الى نتيجتين الأولى أنه كان يدرس في الكتاب والثانية قوة التصور ودقة الملاحظة لدى الجاحظ منذ صباه فهو لا ينسى ما يجرى أمامه ليحفظها في ذاكرته وهذه هي البذور الأولى لعقليته المتفتحة وقدرته الفائقة في تصوير الشيء كما لاحظنا التصوير الدقيق الذي صور به الحادثة التي شاهدها أمامه والتي جعلته يتبوأ المكانة المرموقة فيما بعد.

وتوطدت صلته بجملة من الأشخاص كان لهم أبعد الأثر في حياته وتدرجه في الصعود والمراتب الاجتماعية العليا ولعل من أول هؤلاء الأشخاص مؤيس بن عمران ويصف المرتضى كيف أن هذه



الصلة أعانت الفتى وبعثت في نفسه ما خفف عنها إحساسه المرير بمطالب العيش ووجهته إلى سبيل العلم والأدب<sup>(٣٥)</sup>. وكان هذا الرجل رمزا مبكرا لما سيصيبه من أموال وعطايا من الخلفاء والوزراء<sup>(٣٦)</sup>. ويجعل الدكتور الجاحظ هذه الصلة من الأحداث البعيدة الأثر في حياته<sup>(٣٧)</sup>، إذ كانت دار موسى بن عمران مثابة للأدباء والمتكلمين وخصومهم من أهل الحديث<sup>(٣٨)</sup>، ثم توطدت صلته برجل آخر من المرموقين في المجتمع ونعنى ثمامة ابن أشرس كان شيخا من شيوخه أخذ منه<sup>(٣٩)</sup> وأعجبه بلاغته<sup>(٤٠)</sup> وقد حكى عنه في البلاء ما يوضح قدرته على الجدل<sup>(٤١)</sup>. وذكر أدبه وحسن إفهامه وعنايته بأسلوبه، قائلا ((وما علمت أنه كان في زمانه قروي ولا بلدي بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه))<sup>(٤٢)</sup>.

فإنسان مثل الجاحظ يخبر من قدراته وميوله ما يخبر لا يمكن أن يدوم على حرفة سوقية متواضعة تأخذه إلى سوق السماكين أو محلته فلن تكون هذه الحرفة مصدر رزق دائم لكنها قد تكون مصدر معرفة يستقي منه بعينه من الملاحظة والتتبع حين يتجه في مرحلة أخرى من حياته إلى كتابة أكبر موسوعة عن الحيوان في عصره فالسماكون يشكلون طبقة يروي الجاحظ عنها ما شاء أن يروي من أحاديث وطرائف تتصل بالحيوانات البحرية والظواهر الطبيعية ولا يسهو عن هذه المصادر الأولى لعلمه مهما ضلّت قيمتها في نظر الكبار من العلماء<sup>(٤٣)</sup>.

وهناك مصادر متعددة وينابيع مختلفة استقى الجاحظ منها معارفه وأولها الخبرة الشخصية والثقافة التي تلقاها الجاحظ من مجتمعه وذلك الولوع الذي كان يدفعه إلى السؤال ممن يتوسم فيه العلم وكان الجاحظ في طبعه شعبيا فهو قد جالس الملاحين مرارا وسمع من أحاديثهم وكذلك صائدي العصافير وأصحاب الطيور والحوائين والفيالين وغيرهم وكان الجاحظ صاحب تجربة شخصية فكان إذا سمع بشيء وساوره الشك في صحته يقوم بالتجربة بنفسه كتجربة السم لبعض الحيوان أو الأدوية وغيرها<sup>(٤٤)</sup>.

كان مرهف الحس متفتح البصيرة يأخذ كل ما يسمعه ويصره في حياته اليومية فهو يبيع الخبز والسمك للبحريين مرة ولأعراب أخرى فهو بين هؤلاء وهؤلاء يسمع بإذنه ما يجول في خواطر البحريين ويشاهد بعينه ما يقومون به فكانت هذه الأمور تثير مداركه وتشد مشاعره فيأخذ كل ما يسمع ويصر في حياته اليومية ويدرسها ليجعل منها موضوعات له فيدرس طبائع الناس وطبائع الحيوان ليلقي بعد ذلك الضوء على ما سمع وبعد<sup>(٤٥)</sup> فيقول في كتاب الحيوان ((ورأيت عجباً آخر وهو أنني في طول ما دخلت البراري ودخلت في صحاري جزيرة العرب والروم والشام والجزيرة وغير الطريق وأمكنت في البراري))<sup>(٤٦)</sup>.



إن الجاحظ قد اعتمد في تأليف الموسوعة (كتاب الحيوان) على المعلومات التي حصل عليها من خلال حياته في المجتمع العربي في البصرة في ذلك الزمان حيث كانت البصرة آنذاك منطقة عريقة من النواحي السياسية والاجتماعية والحضارية والبشرية<sup>(٤٧)</sup>.

كان من أهم مناهله الثقافية ولعه الشديد بحب القراءة والاطلاع إذ أحب الجاحظ العلم والكتاب محبة شديدة حتى كان يعد الظفر بكتاب شيئاً عظيماً وقد روى الخطيب البغدادي عن محمد بن سليمان الجوهري قال : كنا نصحب الجاحظ على سائر أحواله من جد وهزل قال : فخرجنا يوماً للنزهة فبينما نحن على باب جامع (البصرة) فنظر شيئاً أردناه إذ عارضت امرأة معها أوراق مقطعة فعرضت ذلك علينا فلم نجد فيها طائلاً فتركناها وانصرفنا وتخلف معها الجاحظ ونحن ننتظره فأطال ثم رأيناه قد وزن لها شيئاً وأخذ الأوراق وقال انتظروني ومضى بها إلى منزله فلما عاد أخذنا نهزأ به ويقول : فرنا بقطعة من العلم وافرة وضحكنا فقال أنتم حمقى والله إن فيها ما لا يوجد إلا فيها ولكنكم جهال لا تعرفون النفيس من الخسيس<sup>(٤٨)</sup>.

أما شأن الجاحظ من النشاط العلمي الذي يمكن أن يوصف بأنه تاريخي على أنه حين أقبل على حلقات العلم ومجالس الكلام كان يحمل في داخله موهبة قوية غالبة لعلها هي التي كانت ما تزال به تقلقه وتحرك وجدانه وتنزع به إلى مثل هذه الأجواء الروحية وهي موهبة من أصل مواهبه ومكونات شخصيته ومن أقواها تأثيراً عليه وتوجيهاً له كما كانت من أولها فيما أتيح لنا أن نعرفه من صور حياته الباكورة ظهوراً عنده ، ولعل من أول ما أتيح لهذه الموهبة هو مجتمع الكتاب الذي رأينا مبلغ تجليها في تمثل تلك الصورة وهو المجتمع الذي بدأت به حياة الجاحظ الاجتماعية ولا بد أنها أحواله كانت حياً نابضاً ومكنت له من أن يرى فيه صورة مصغرة مجتمعه من المجتمع البصري بطبقاته المختلفة إذ يرى في صبيانه نماذج يتميز كل منها بما تتميز به طبقة وقد كان هذا الكتاب يجمع أبناء الطبقات العاملة الكادحة كطبقة القصابين ومن إليهم فكان تمثله لها بفضل تلك الموهبة الكامنة في أعماقه تمهيداً للمرحلة التالية التي انتقل إليها وخاض فيها غمار هذا المجتمع نفسه وتهدأ بذلك لعرض وجوهه ورسم صورته<sup>(٤٩)</sup>.

## ٢. المربد:

وهناك بيئة أخرى ذات أثر ظاهر فيه وهي بيئة المربد ولعل المربد أقرب البيئات الأخرى إلى بيئة الحياة اليومية العاملة بطبيعة الأصل منه وبطبيعة الجمهور الذي يغشاه فالأصل فيه أنه أحد أسواق البصرة أو هو سوق البادية فيها يغشاه أخلاط من الناس يختلفون في الجنس والعمل والمنزلة يلتبسون فيه التجارة أو التسوق أو التفرح من مشاغلهم وبذلك نشأت له تلك الصبغة الأدبية كالتى كانت لأسواق العرب في الجاهلية وقد ظل المربد سوق البادية كما كان وظل أهله أخلاطاً كشأنهم الأول وإن تغيرت بعد ذلك بعض ألوانه بتغير الحياة الاجتماعية وتغير صور الثقافة العربية ولكن صبغته العربية البدوية بقيت غالبية



عليه وبفضل هذه الصبغة ظلت له مكانته في الحياة الجديدة وإن فقد كثيراً من مكانته الأدبية الأولى حين كاد يستبد بالنشاط الأدبي في ذلك الإقليم<sup>(٥٠)</sup>.

وكانت هناك مراكز للعلم في عصر الجاحظ يرتادها الصبيان والشباب بعد تجاوزهم مرحلة الدرس في الكتاتيب وتتمثل هذه المراكز في البيئات العلمية التي شاعت في المجتمع من مثل المريد في البصرة والمساجد التي أصبحت في هذا العصر ساحات للعلم لم يكن يشترط لشهود حلقات الدرس والعلم فيها أي شرط سوى الرغبة في السماع وطلب العلم والاستزادة في المعرفة وحلقات العلم والمناظرة التي كانت تعقد في بيوت السراة وساعدت هذه البيئات العلمية المتنوعة على بروز طائفة من العلماء والأدباء امتازوا بتنوع معارفهم تنوعاً واسعاً من مثل ما رأينا في نشأة الجاحظ نفسه وتكوين شخصيته الثقافية.<sup>(٥١)</sup>

إن للمريد دوراً واضحاً في حياة الجاحظ وحياة البصريين لاسيما في مجال الأدب والتعليم والمجالس والمناظرات وغير ذلك كما ظهرت للبداية أهمية في حياة البصريين وانتشرت فيها الكتاب والمساجد والأسواق<sup>(٥٢)</sup>.

كما أنه تلقى العلم شفاهاً عن العرب في المريد<sup>(٥٣)</sup> ويذكر هو عن نفسه في أكثر من موضع أنه جلس إلى رواة المريديين وسمع منهم ولا ريب أن لهذا أثراً واضحاً في خلوص عباراته وانطباعه على البلاغة وتنوقه للآثار الأدبية تذوقاً دقيقاً وفهمه للحياة العربية فهماً واسعاً عميقاً وحباً لهذه الحياة العربية من ناحيتها العقلية والمادية حباً ظاهراً في كتبه المختلفة إذ كان قد تلقى صور هذه الحياة في المريد وهو في غرارة السن وغضارة الصبا فأقبل عليها بنفسه المتطلعة في شغف وحب وإعجاب<sup>(٥٤)</sup>.

وكان المريد أشهر محال البصرة وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء على مثل سوق عكظ<sup>(٥٥)</sup>. وسوق المريد من الأماكن التي كان الجاحظ يتردد إليها ويشافه الأعراب الوافدين إليها ويسجل أو يحفظ ما كان يسمعه من أفواههم مما يروونه من الشعر والحكم والأمثال وقد ذكر أنه تلقف الفصاحة شفاهاً عنهم وكان يثني على أحاديثهم ويجعل سماعها من أمتع وانفع المنافع وأند الإسماع وأشد اتصلاً بالعقول السليمة<sup>(٥٦)</sup>.

وبيئة المريد الذي كان وسطاً في موقعه بين بادية العرب وسواد العراق كانت ذات أثر ظاهري في الحياة اليومية العراقية، إذ كانت حلقة الاتصال بين الحياة العربية الصميعة والحياة العباسية الجديدة وهذا ما أكده الجاحظ بقوله عن المريد ((عليك بالمريد فإنه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخير ويجمع بين ربيعة ومضر))<sup>(٥٧)</sup> ويعلق طه الحاجري على هذا القول ويؤكد أن المريد أقرب البيئات إلى بيئة الحياة اليومية العاملة بطبيعة الأصل فيه وبطبيعة الجمهور الذي يغشاه<sup>(٥٨)</sup> وترى بعض شخصيات المريد المرموقة يتمسكون بعباداتهم العربية الصميعة وإن تغيرت بعض ألوان الحياة الاجتماعية والثقافية





ويورد لنا الجاحظ نصاً يؤكد هذا القول بأن صيغة الحياة العربية البدوية بقيت غالبية على بيئة المربد فيقول ((إن مواليه من ولد جعفر وكبار أهل المربد كانوا لا يطمعون أن يشهدوه إلا على أمر صحيح لا اختلاف فيه))<sup>(٥٩)</sup>. وكان يختلف إلى المربد يأخذ عن فصحاء العرب اللغة وبعض ما ينشدونه من الأشعار وكان المربد سوقاً تجارية وأدبية كبيرة منذ العصر الأموي<sup>(٦٠)</sup>.

وذكر بعض الأخبار والطرف من كان يغشاه ومن طريف ما ذكر عنه قصة فرج الحجام قال ((وكان أهل المربد يقولون لا نرى الإنصاف إلا في حانوت فرج الحجام لأنه كان لا يلتفت إلى من أعطاه الكثير دون من أعطاه القليل ويقدم الأول ثم الثاني ثم الثالث أبداً حتى يأتي على آخرهم على ذلك يأتيه من يأتيه فكان المؤخر لا يغضب ولا يشكو))<sup>(٦١)</sup>. وذكر سوق الضباب في المربد وكانت تقوم في ظل دار جعفر بن سليمان العباسي قال الجاحظ ((وحدثني أبو نواس قال : بكرت إلى المربد ومعني ألواحي أطلب أعرابياً فصيحاً فإذا في ظل دار جعفر أعرابي لم أسمع بشيطان أقبح منه وجهاً ولا بإنسان أحسن منه عقلاً وذلك في يوم لم أر كبرده فقلت له : هلا قعدت في الشمس فقال : الخلوة أحب إلي فقلت له مازحاً : أرايت القنفذ إذا امتطاه الجني وعلا به في الهواء هل القنفذ يحمل الجني أم الجني يحمل القنفذ ؟ قال : هذا من أكاذيب الأعراب))<sup>(٦٢)</sup>.

وكانت طبيعة عمله في هذه السوق تدعوه إلى مداخله هذه الأنماط المختلفة مداخله تكشف له عن طبائعه كما كانت نوازعه الأدبية تتمثلها في أدق صورها وفي أتم ملامحها ثم تتسلل به إلى ما وراء هذه الصور والملاحم فتتجلى له حقائقها المخبوءة وأعماقها الدفينة فإذا ذهب إلى السوق الأخرى التي تقع على الخليج مركز البحرية التي تجوب ما بين الشرق والغرب سوق الإبله فقد وجد نفسه بإزاء عالم جديد يختلف عن عالم المربد لا بأهله ورواده فحسب ولكن بما يحلق فوقه ويجوس خلاله من أطيايف الأحاديث التي يرددها فيه من جاؤه من هنا وهنا عن عجائب الحياة البحرية وغرائب تلك الأقاليم النائية تهيج خياله وتبعث الدهشة في صدره وتثير تطلعه فنجد نوازعه الأدبية في ذلك ما تهتز له وتتفتح ومع ذلك فهو لاء البحريون الذين تعرضهم له هذه السوق هم طبقة من طبقات المجتمع البصري أتيح لهم من أسباب الحياة ووسائل العيش وفنون المعرفة ما انفردوا به عن تلك الطبقات التي عرفها، وقد أتاحت هذه السوق لخيال الجاحظ صوراً زادت به بالحياة معرفة وشحذت تطلعه<sup>(٦٣)</sup>.

ولقد التفت شيوخ البصرة إلى أهمية دور المربد في المجال التعليمي وإلى ما يمكن أن يؤديه من فائدة في هذا الميدان فكانوا يحضرون المجالس ويحثون الطلاب على الإفادة من كل جديد وطريف ومثير لاسيما لهجات القبائل ولغاتها وأساليبها وهذا ينطبق على المجالس الخاصة والمناظرات والمحاورات وغيرها<sup>(٦٤)</sup>. ويظهر أن النشاط الأدبي في الأسواق كان يتم لإشباع النزعة الفنية وللدفاع عن القبيلة والنيل من أعدائها والتشهير بمن جاء منهم بعمل غير لائق وكان يدخله أهل الحضر لإرضاء النزوع -



الأدبي وسماع القصائد والألفاظ ومخارجها وتدوينها<sup>(٦٥)</sup> وكان الجاحظ نفسه أحد من تلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد وتعرف فيها الأعراب الرواة وكان من نتيجة ذلك أن أشاع في كتبه لاسيما البخلاء بعض الأسماء التي وجد أن تسجيلها في الكتب يجعل منها وثائق مهمة ومن الأسماء التي أوردتها الجاحظ في كتابه من الرواة الأعراب<sup>(٦٦)</sup> عمرو بن كركرة وأبو القمام وخاقان بن صبيح والمنتجع بن نبهان وغيرهم .

ولم يكن الجاحظ يكتفي من هؤلاء الأعراب بتلقف الفصاحة ورواية الآثار الأدبية فقد كان إلى جانب ذلك يعجبه ويلذ له أن يشهد حركات عقولهم وهي حركات ماهرة رشيقة ويصغي إلى نوادرهم وطرائفهم وما دق ولطف من محاوراتهم فاستطاع بذلك أن يداخلهم ويستبطنهم واستطاعوا هم بذلك أن يظفروا به كبيراً إلى حد بعيد<sup>(٦٧)</sup> .

كما كان المربد فوق ذلك يعد من البيئات الأدبية البصرية فقد كان شعراء البصرة وظرفاؤها يرون فيه متنزهاً لهم وصقلاً لخواطرهم فكانوا يخرجون إليه ويجلسون في بعض أرجائه يتناشدون القصيد ويتطارحون الشعر ويتبادلون الأحاديث ويتناقلون الأخبار وكذلك كان للخطباء مجالس فيه كما يقول ياقوت ((يتناولون فيها الأغراض المختلفة بالعبارات البليغة المنتقاة على ما نرى من أمثلة ذلك في البيان والتبيين))<sup>(٦٨)</sup> و هكذا كان ذلك الفتى يجد في هذه البيئة تلك المشاهد المختلفة المتنوعة فلا جرم كانت ذات أثر بالغ في تفتيح عقله الناشئ وتنقيف ذوقه الفني .

ولا ريب أن الجاحظ قد جذبته الجواذب المختلفة إلى هذه البيئة منذ أيامه الأولى وهي الجواذب التي تتصل بنفسه المتطلعة وعقله المتوثب ولعلها تتصل أيضاً بالحياة العاملة الكادحة التي كان يحياها وكذلك اتخذ منه مدرسة تلقى فيها أصول البيان العربي بإذنه وقلبه وعقله<sup>(٦٩)</sup> . ويقول ياقوت عنه في ذلك إنه تلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد ويذكر هو عن نفسه في أكثر من موضع أنه جلس إلى رواة المربدين وسمع منهم ولا ريب أن لهذا أثراً واضحاً في خلوص عبارته وانطباعه على البلاغة وتذوقه للآثار الأدبية تذوقاً دقيقاً وفهمه للحياة العربية فهماً واسعاً عميقاً وحباً لهذه الحياة العربية من ناحيتها العقلية والمادية حباً ظاهراً في كتبه المختلفة إذ كان قد تلقى صور هذه الحياة في المربد وهو في غرارة السن وغضارة الصبا فأقبل عليها بنفسه المتطلعة في شغف وحب وإعجاب وقد ظل الجاحظ من بعد يقرب رجال البادية ويؤثرهم بالكرامة ويذكرهم في كتبه وينوه بهم كأبي مجيب وعبيد الكلابي وأبي جعفر العنبري إلى رجال غيرهم<sup>(٧٠)</sup> .

وظهر في هذه البيئات رواة للقصص الذين كانوا ينشئون الحكايات المؤثرة التي كانت تعتمد على سذاجة الجماهير لإثارة عواطفهم وكان منهم من جمع بين النسك والوعظ الشعبي والقصص الديني وتراوحت اهتماماتهم بين تفسير القرآن الكريم والوعظ وبين نسج القصص الهادف الذي يتصل بعالم أخلاقي رحب



وكان بعض القصاصين يحدثون الناس بالأخبار والتاريخ ويسوقون المواعظ وكان بعضهم يخلط بين الواقع والخيال ويفسرون بعض الآيات الكريمة من خلال مخزونهم الخرافي والأسطوري لتقريب بعض العقول إلى أقرب الصور إلى عقولهم وقد يسلك الجاحظ بعضهم في سلك المعوزين الذين يقفون أمام أبواب المسجد انتظارا للصدقات في حين يسلك بعضهم الآخر مع القرايين ولقد اختلط بهذه الفئة وأفاد من أهلها وتزود من تجاربهم بل إنه يعترف بفضل بعضهم لاسيما المعاصرون منهم<sup>(٧١)</sup>.

والمجتمع البصري من المجتمعات المختلطة بحكم موقع البصرة بين البحر من جهة والبادية من جهة أخرى فلا تزال تستقبل من ناحية البحر أنماطا من الناس مختلفي الجنسية ومتفاوتي الأمزجة العقلية والوجدانية منهم من يلم بها ومنهم من يتخذ مقامه فيها كما تستقبل صنوفا من البحريين ملاحين وصيادين منهم من ينتمي إلى الجنس العربي في أقطار الخليج ومنهم من ينتمي إلى الأجناس في شرق إفريقية وفي الأقاليم الآسيوية وتستقبل مع هؤلاء جميعا ألوانا من العادات والثقافات والمعارف مختلفة الطابع بين العقلي والغيبى<sup>(٧٢)</sup> أما من الناحية الأخرى ناحية البادية فهي تستقبل أنماطا أخرى مختلفة كل الاختلاف إذ تستقبل الأعراب بما لهم من هيئة خاصة وأسلوب عيش ينفردون به وبما لهم من مزاج عقلي يجمع بين السذاجة والدهاء ومن ثقافة نابغة من طبيعة حياتهم ومن عادات وموارث وتقاليد راسخة جافية وكان مما اقتضاه هذا الوضع الاجتماعي للبصرة أن يكون لها سوق بحري هو سوق الإبله وسوق بري هو سوق المربد ولكل من هذين السوقين طابعه الغالب عليه ونشاطه السائد فيه بطبيعة أهله والمتنابئين له والسلع المعروضة به وأسلوب التعامل فيه وفي كل من السوقين مارس الجاحظ نشاطه الجديد وتمرس بالحياة التي تتلاءم وإياه<sup>(٧٣)</sup>.

ومن مربد البصرة ودروس العلماء ومشافهة الأعراب وأحاديث البلغاء وفكاهات الظرفاء ومجالس الحكماء أخذ الجاحظ كثيراً من ضروب الثقافة وما أكثر ما كان أبو عثمان الجاحظ يلتقي بالأعراب الواردين على المربد يتلقف الفصاحة منهم شفاها<sup>(٧٤)</sup>.

إن تحول الجاحظ من مرحلة التردد في الأسواق والتجوال في الأرض إلى مرحلة الحياة العلمية والأدبية يرجع إلى أمرين الأول هو هذا النزوع الأدبي الذي ما زال به يدفعه إلى التسامي وهو في الوقت نفسه الأصل الأول في اتجاهه إلى تصوير المجتمع والأمر الآخر هو ما كانت هذه البيئات التي كان يغشاها و يتردد بينها والتي هي الأصل الثاني لذلك الاتجاه تتضمنه من صور للحياة العلمية التي كان نزوعه هذا يتشوف إليها فإذا هي تتخيل له وإذا هو يأخذ بنصيب منها قدر ما تأذن به ظروف حياته إلى أن خلاص لها بفضل ما كانت الحياة البصرية تشتمل عليه من عناصر مشجعة<sup>(٧٥)</sup>.

### ٣. المسجد :



ومن البيانات التي كان الجاحظ في هذه الفترة من حياته يتردد بينها ويتعرض لآثارها ويستمد مقومات شخصيته منها مسجد البصرة .

إن مسجد البصرة كان من البيانات المعقدة إلى حد كبير تعقد الحياة في البصرة نفسها وبذلك كان كبير الأثر في تكوين شخصية الجاحظ لا من الناحية العلمية الخالصة حيث كان يتلقى عن شيوخه ويتقف عقله في مجالسهم فحسب بل من الناحية الأدبية الفنية أيضا فقد كانت مثل هذه المشاهد المختلفة التي يزخر المسجد بها والتي تضطرب فيها الأهواء والنزعات والطبائع المختلفة جذيرة بأن تشحذ نزعة الفنية وتشيرها (٧٦).

بدأ المسجد في زمن مبكر كبيت مشترك يجتمع فيه المسلمون لملء أوقات فراغهم فهم ينتقلون من حلقة إلى حلقة مستمعين إلى محدث تارة وإلى مفسر تارة أخرى أو يتحدث الأفراد بينهم أو يختلطون بين جموع المستمعين إلى القصص وتراهم دوما على أهبة الصلاة عندما يدعوهم إليها المؤذن حتى إذا انتهت تأخروا عن الخروج من المسجد ((يفيضون في الحديث ويذكرون من الشعر الشاهد والمثل ومن الخبر الأيام والمقامات)) (٧٧).

وكان المسجد المكان الذي يمنح العلم ليس فقط في الموضوعات الدينية بل أيضا في الموضوعات الدنيوية مثل الشعر والأدب (٧٨). وكانت المساجد ولاسيما المسجد الجامع البصري من الأماكن التي كان الجاحظ يتردد إليها إذ كان المسجد بيئة مركزة فيها للصور العقلية والنزعات النفسية والتيارات الاجتماعية حضور كبير وبذلك كانت مشاهدته تتغير وظواهره تتطور بتطور الحياة العامة التي تحيط به إضافة إلى كونه مكانا للعبادة ومركزا للقضاء وفصل الخصومات ومدرسة كبرى للعلم (٧٩) ومنازاً للإشعاع الفكري والثقافي يعج بالعلماء في شتى ميادين العلم والمعرفة تغص بهم الحلقات العلمية التي كانت تعقد فيه ويلتحق فيها المفسرون والقصاص والمتكلمون واللغويون والنحاة والرواة والشعراء والأدباء (٨٠). وكان يستمع إلى محاضرات العلماء فيها وكانوا يحاضرون في كل فن وكانت أشبه بجامعات مفتوحة الأبواب لكل من أراد الدرس وقد أخذ يهتم كل ما يسمعه فيها من فقه وعلوم شريعة ومن نحو وعلوم ولغة ومناقشات ومحاورات بين المتكلمين من كل الفرق (٨١).

لم تكن المساجد في المجتمع العباسي دورا للعبادة فقط لكانها كانت بجانب ذلك دورا للعلم والتعليم تعقد فيها حلقات العلم والمعرفة حتى غدت أشبه بجامعات للعلم والعلماء (٨٢). وكان يعقد فيها أيام الجمع مناقشات حول جيد الشعر وما ينتخب من نظم الشعراء (٨٣). ويظهر أنه صدرت عن بعض هؤلاء العلماء كتب وتصانيف متنوعة قرأ الجاحظ بعضها وكانت تحوي أخبارا ومعارف غير موثقة حتى أنه حين ذكرها في بيانه عقب عليها بأنه لم يسمعها من عالم وأنه قراها في بعض كتب المسجدين (٨٤).



ولم تكن المدرسة التي أصبحت فيما بعد مركزا للتعليم العالي موجودة في حادثة الجاحظ وكان أولاد الخواص يتعلمون على أيدي المعلمين حتى سن متأخرة أما أولاد الفقراء فكانوا يتجهون إلى المسجد بعد خروجهم من الكتاب وهو مكان يجتمع فيه المسلمون للعبادة وللتحدث في موضوعات ليس لها كلها طابع ديني فالمسجد مركز للدراسة الدينية والدنيوية ففيه يلقي الأستاذ دروسه مستندا إلى سارية يحيط به مستمعون مختلفوا الأجناس والمشارب وكان أغلب الطلاب الذين يريدون أن يلمع نجمهم لا يكتفون بالاستماع إلى أستاذ واحد بل كانوا ينتقلون من حلقة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى ولكنهم لم يكونوا يتعلمون سوى مادة واحدة أو مواد عدة متشابهة كاللغة وفقه اللغة<sup>(٨٥)</sup>. ولدينا برهان على هذا التخصص المنافي للثقافة الحقيقية في نادرة دقيقة وأبطالها معاصرون للجاحظ، حدثنا سهل بن محمد السجستاني قال : وفد علينا عامل من أهل الكوفة لم أر في عمال السلطان بالبصرة أبرع منه فدخلت مسلما عليه فقال : يا سجستاني من أعلمكم بالبصرة ؟ قال الزيادي أعلم بعلم الأصمعي والمازني أعلمنا بالنحو وهلال الرأي أفقها والشاذكوني أعلمنا بالحديث وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن )) ولما جمعهم الحاكم في الغد طرح على كل واحد سؤالا من غير اختصاصه وعلمه فكان يمتنع عن الجواب ويحيله على صاحب العلم فقال (( ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين سنة لا يعرف إلا فنا واحدا حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه ))<sup>(٨٦)</sup>. ومما يحمل على الظن بأن حلقات العلم في المساجد كانت متباينة من حيث أوجه النشاط العقلي بما يعكس ألوان الحياة الاجتماعية في هذا العصر وأثر الامتزاج الحضاري في المجتمع العباسي . ولم يكن تنوع ألوان حلقات المسجد إلا صدى للامتزاج الحضاري في المجتمع العباسي ومن ثم رأينا في هذه الحلقات وجنبااتها العربي والفارسي والمرجئ والعماني والخارجي والشيوعي إلى غير ذلك من ضروب الاختلاف في الثقافة والاتجاه العقلي وما من شك في أن هؤلاء كانوا يختلفون في تقديرهم للأعمال والحكم عليها وإن شئت انظر إلى حلقات المفسرين في المسجد الجامع بالبصرة ستجد أنه قد داخلها ((تطور أسبغ عليها مظهرا جديدا يختلف كل الاختلاف عن مظهرها الأول فلم تعد حلقات القرآن حلقات أقرء وحسب بل تفرع منها حلقات أخرى لتفسير الكتاب الكريم وفي حلقات مختلفة الألوان متعددة المناحي والمذاهب تمثل الألوان المختلفة العقلية البصرية محمولة على تفسير القرآن وتأويل آياته ((<sup>(٨٧)</sup>.

ولقد تكونت لدى الجاحظ ثقافة ومعارف عن طريق ((التحاقه بحلقات العلم المسجدية التي كانت تجتمع لمناقشة عدد كبير وواسع من الأسئلة وبمتابعة محاضرات أكثر الرجال علما في تلك الأيام في فقه اللغة وفقه النحو والشعر وسرعان ما حصل على مكانته الحقيقية في اللغة العربية بوصفها ثقافة تقليدية وقد مكنه ذكاؤه الحاد من ولوج حلقات المعزلة حيث المناقشات الأكثر بريقا والمهتمة بالمشكلات التي تواجه المسلمين وبالعوي الإسلامي في ذلك الوقت ))<sup>(٨٨)</sup>.



كما كان لمسجد البصرة كبير الأثر في تكوين شخصية الجاحظ لا من الناحية العلمية الخالصة حيث كان يتلقى عن شيوخه ويتقف عقله في مجالسهم فحسب بل من الناحية الأدبية الفنية أيضا فقد كانت مثل هذه المشاهد المختلفة التي يزخر المسجد بها والتي تضطرب فيها الأهواء والنزعات والطبائع المختلفة جدية بأن تشد نزعة الفنية وتثيرها فلقد أخذ مكانه بين المسجدين وهو لا يزال حدث السن، هؤلاء المسجديون الذين يعرضون في مجالسهم وأحاديثهم شتى نواحي الحياة وما أخلق بهذه الأحاديث أن تفسح أفقه وأن تفتح ذهنه وتفتح خياله وتعمل في ترشيحه لذلك المكان الذي صار إليه<sup>(٨٩)</sup>.

وكانت المساجد دوراً للعلم يلتقي فيها الناس ويأخذ بعضهم عن بعض<sup>(٩٠)</sup> وقد ذكر جلوس أبي عمرو الشيباني في المسجد يوم الجمعة وقد طلب إحضار دواة وقرطاس ليكتب بيتين من الشعر<sup>(٩١)</sup> وهذا يدل على أن ما كان يجري في المساجد لا يخص العبادة والوعظ والإرشاد وحدها وإنما كان يشمل كثيراً من جوانب الثقافة التي عرفها ذلك العهد كقراءات القرآن والنحو واللغة والقصص والشعر<sup>(٩٢)</sup> ((وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن في مسجد البصرة وقص إبراهيم التيمي وقص عبيد بن عمير الليثي وجلس إليه عبد الله بن عمر))<sup>(٩٣)</sup>.

ويصور لنا الجاحظ حلقة من هذه الحلقات في معرض حديثه عن موسى الأسواري وفيه يقول ((كان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته الفارسية في وزن فصاحته العربية وكان يجلس في مجلسه العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية))<sup>(٩٤)</sup>. وبالمثل يحدثنا الجاحظ عن أبي عمرو بن قائد الأسواري وقد جلس للقصص ستاً وثلاثين سنة ((فابتدأ لهم في تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات لأنه كان حافظاً السير ولوجوه التأويلات فكان ربما يفسر آية واحدة في عدة أسابيع كأن تكون الآية فيها ذكر يوم بدر وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق في ذلك من الأحاديث الكثيرة وكان يقص في فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به وخصاله المحمودة كثيرة ثم قص بعده القاسم بن يحيى وأبو العباس الضرير لم يدرك في القصص مثله وكان يقص معهما وبعدهما مالك بن الحميد المكفوف))<sup>(٩٥)</sup>.

وكانت المساجد مكاناً للمناظرة وقد أدت الخلافات إلى أن يعتزل واصل بن عطاء حلقة أستاذه الحسن البصري ويتخذ له حلقة خاصة في المسجد وكانت في المسجد ((حلقة المصلحين)) يجلس الناس إليهم ويستمعون من النصائح والحكم الشيء الكثير وقد ذكر الجاحظ بعض ذلك مما يتصل بالحرص على الحياة الدنيا<sup>(٩٦)</sup>.

والمسجديون يخوضون في كثير من المسائل وكان الجاحظ نفسه في أول أمره يجلس إليهم قال ((بينما أنا جالس يوماً في المسجد مع فتیان من المسجدين مما يلي أبواب بني سليم وأنا يومئذ حدث السن إذ أقبل



أبو سيف الممرور وكان لا يؤذي أحداً)) (٩٧). وقال ((وقد أدركت رواة المسجديين والمريدين ومن لم يروا أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار وأشعار اليهود والأشعار المنصفة فإنهم كانوا لا يعدونه من الرواة ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الحديث والقصائد والفقر والنتف من كل شيء ولقد شهدتهم وماهم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب فصار زهدهم في شعر العباس بقدر رغبتهم في نسيب الأعراب ثم رأيتهم منذ سنين وما يروي عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ في طلب الشعر أو فتنياني متغزل وقد جلست الى أبي عبيدة والأصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد الى شعر في النسيب فأنشده وكان خلف يجمع ذلك كله)) (٩٨). وأخذ عن المسجديين كثيراً من أخبار البخلاء وأحاديثهم (٩٩) وصاغها بأسلوبه العذب الساخر، وفي كتبه كثير من الإشارات الى المسجد الجامع في البصرة (١٠٠). وقد ذكر أن ((إمامة مسجد الجامع بالبصرة مقصورة على الأنصار لما فيهم من الصلاح والحال الجميلة)) (١٠١). وكان منهم أبو زكريا يحيى بن أبي طلحة الأنصاري (١٠٢). وكانوا يتخذون المسجد لدفع البلاء ومن ذلك ((أن زياداً كتب دواء الكلب وعلقه على باب المسجد الأعظم ليعرفه جميع الناس)) (١٠٣). وكانت المساجد الأخرى المنتشرة في البصرة تقوم بمثل ما يقوم به المسجد الجامع ومن تلك المساجد: مسجد بني عدي ومسجد بني مجاشع ومسجد حدان وهي مما بناه زياد بن أبيه وقد ذكر الجاحظ الأخير منها وقال ((وكان زياد حول المنبر وبيت المال والدواوين الى الأزدي وصلّى بهم وخطب في مسجد الحدان)) (١٠٤). ومنها مسجد عتاب الذي قال عنه ((وأبو كعب هذا هو الذي كان يقص في مسجد عتاب كل أربعاً)) (١٠٥).

وتلك كانت هي مشاهد المسجد الجامع بالبصرة فلما تعقدت الحياة بها وتداخلت الأجناس المختلفة فيها التي ضمت فيها شتى النوازع والغرائز بعضها الى بعض وآثار تلك الحضارة التي اكتملت فيها وفاضت عليها في مدة وجيزة من الزمن أخذت مشاهد هذا المسجد تتغير وتتطور وتتبع في تطورها أسلوباً معقداً تعقد الحياة في البصرة نفسها بكثرة العوامل المؤثرة وتداخلها (١٠٦).

وقد كان الجاحظ في أول اتصاله بالمسجد يجالس المسجديين وأشار هو الى ذلك في صدد حكايته لبعض نوادر الممرورين في بعض كتبه ((وبينما أنا جالس يوماً في المسجد مع فتیان من المسجديين مما يلي أبواب بني سليم وأنا يومئذ حدث السن إذ أقبل أبو يوسف الممرور الخ)) (١٠٧). وإذن فقد أخذ مكانه بين المسجديين وهو لا يزال حدث السن، هؤلاء المسجديون الذين يعرضون في مجالسهم وأحاديثهم شتى نواحي الحياة وما أخلق هذه الأحاديث أن تفسح أفقه وأن تفتق ذهنه وتفتح خياله وتعمل في ترشيحه لذلك المكان الذي صار إليه.



فأما جلوسه الى شيوخ المسجد كأبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي والمدائني فقد أشار إليه في غير موضع من كتبه وما أكثر ما يروي عنهم كما يفعل جميع من ترجموا له أن ينصوا عليها وما تحسبنا في حاجة الى بيان أثرهم في تكوين شخصيته فذلك ظاهر جلي في هذه السعة العلمية العجيبة<sup>(١٠٨)</sup>.

ومن بين هؤلاء جماعة ملازمون للمسجد دعوا بالمسجديين ((يلزمون المسجد الجامع مما يلي البواب بني سليم))<sup>(١٠٩)</sup> حتى ليشبههم السندوبي بأهل الصفوة<sup>(١١٠)</sup> على ما في هذا التشبيه من مبالغة ولم يكن المسجديون كما ادعى ناشرا كتاب البخلاء بأنهم ((طائفة خاصة من البخلاء يجتمعون في المساجد كما يجتمع أهل الصناعة الواحدة أو الرأي الواحد في أنديتهم لعهدنا هذا))<sup>(١١١)</sup> بل هم جماعة تجانسوا في الطباع وقربت بينهم تربية موحدة وإن هؤلاء المسجديين ملكوا من المال ما أتاح لهم الاستغناء عن السعي والعمل فهم يجلسون الى حلقات المدرسين دون أن يكون لهم اختصاص في فرع من الفروع فمنهم شعراء ينظمون شعرا ضعيفا ومنهم رواة للشعر الجاهلي على طريقة المربدن ومنهم من ينتحل الاقتصاد في النفقة والتثمير للمال من أصحاب الجمع والمنع وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب والحلف الذي يجمع على التناصر وكانوا إذا التقوا في حلقتهم تذكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماسا للفائدة واستمتاعا بذكره<sup>(١١٢)</sup>.

ويحدثنا الجاحظ عن طائفة من العلماء والأدباء نوعوا معارفهم تنوعا واسعا أطلق عليهم اسم المسجديين كان لهم حلقات خاصة في المساجد يسوقون فيها فنونا من الجدل والحوار في أي شيء يعين لهم وقد أبدع في تصوير جدلهم حول فضائل الاقتصاد والتثمير المالي وأفرد لذلك صفحات من بخلائه يظهر فيها كيف أن أصحاب هذه الطائفة لم يكونوا من صنف واحد بل كانوا خليطا من الناس فمنهم الشعراء والرواة ومصطنعي الحكمة وكانوا- فيما يظهر- يستطرفون الثقافات المتنوعة في مجتمعهم التي كان المسجد يفيض بأصداؤها فخرجت أحاديثهم متنوعة تجاذبوا فيها أطراف الرأي في مختلف المسائل مما يمس الأدب حيناً ويمس الاجتماع حيناً آخر وقد ينزع جدالهم الى المزاح والمفاكهة في أكثر الأحيان ونستطيع أن نتمثل صورة صادقة لبعض سمات الجدل العقلي في بعض هذه الحلقات من خلال ما يحدثنا به الجاحظ في بخلائه عن حلقة خاصة من بين حلقاتهم كانت تسمى حلقة المصلحين تحدث عن مذهبهم من مثل قوله في سبب اجتماعهم بأن ذلك يعود الى اتفاقهم على مذهب الاقتصاد في النفقات مع تثمير الأموال حتى صار ذلك المذهب في الجمع بينهم كالنسب بين الناس يجمع على التحاب أو كالحلف بين القبائل والعشائر يجمعهم على التناصر، انظر الى مثل هذه المعاني نقلا عن المسجديين أنفسهم يقول الجاحظ ((قال أصحابنا من المسجديين اجتماع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة والتثمير للمال من أصحاب الجمع والمنع وقد كان هذا المذهب عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب وكالحلف الذي يجمع على التناصر وكانوا إذا التقوا في حلقتهم تذكروا هذا الباب وتطارحوه وتدارسوه التماسا





للفائدة واستمتاعاً بذكره ((<sup>(١١٣)</sup> ، وبالمثل ضمت حلقات المسجدين إليها بعض الشخصيات من بين أثرياء البخلاء من مثل أبي سعيد المدائني كان حسب قول الجاحظ ((إماماً في البخل عندنا بالبصرة وكان من كبار المعينين ومياسرهم وكان شديد العقل شديد العارضة حاضر الحجة بصير الروية ((<sup>(١١٤)</sup> كما ذكر من الكلام المأثور عنه قوله ((ومن لم يتعرف الاقتصاد تعرف فلا يتعرض له ((<sup>(١١٥)</sup> وبالمثل ضمت هذه الحلقات طائفة من المرابين كان يقال لهم ((أصحاب العينة (الربا) والبخلاء الذين يتذكرون الإصلاح))<sup>(١١٦)</sup> .

وتلونت بعض حلقات العلم والدرس في بعض المساجد بما يخدم المذاهب السياسية والدينية من مثل ما يذكره الجاحظ عن مجلس أبي عبيدة وفي مثل هذه المجالس قضاء لأوطارها في تقديس هذا والغض من ذلك<sup>(١١٧)</sup> . ورأينا بعض الشيوخ يأبى أن يشهد حلقة من حلقات العلم في المساجد إلا إذا كان أصحابها يتحدثون عن أخبار الحسن البصري وينشدون أشعار الفرزدق<sup>(١١٨)</sup> ، وبجانب ذلك كانت بعض حلقات المساجد تحفل بأصحاب النوادر من مثل بابويه صاحب الحمام وكان الجاحظ يشك فيما يرويه عند مشايخ البصرة ممن شهدوا مجلسه في المسجد<sup>(١١٩)</sup> . وبالمثل قد يظهر في هذه الحلقات من يستهترون بالقيم الأخلاقية في المجتمع من مثل ما يرويه الجاحظ عن أبي كعب القاص وحيله<sup>(١٢٠)</sup> .

ومن الحق أن حلقات العلم والمعرفة والمناظرة تنوعت في المساجد آنذاك بما جعلها مراكز مهمة للإشعاع العلمي والعقلي في عصره، واتسم عصر الجاحظ باحتدام المناظرات واندلاعها خاصة بين المعتزلة وطوائف المتكلمين وبينهم وبين أصحاب الملل والنحل اندلاعا هياً لظهور كثير من كبار المناظرين في شئون الدين والعقل كما هياً لبسط المعاني ومدها بذخائر جديدة من تولد الأفكار وتشعبها والتعمق في مساريها الخفية وما من شك في أن المتكلمين وقوامهم المعتزلة وقد وضعوا في العربية الأسس التي بني عليها بعد علم البحث والمناظرة<sup>(١٢١)</sup> .

وفي عهده كانت البصرة مدينة حبلى بالثقافات والأفكار والمذاهب التي اتسعت بفعل الاحتكاك الحضاري وانتشرت كأثر من آثار حركة الترجمة التي بلغت أوجها في صدر الدولة العباسية مكانة ثقافية مرموقة بفضل تقابل وتلاقح العقائد والثقافات والمذاهب ونستطيع أن نتبين ذلك من خلال المناظرات التي سجلتها كتب الأدب والفرق والتي كانت تدور في مجالس الحكام والأعيان وكان للجاحظ مساهماته التي لا تنكر في هذه الحركة الفكرية وهي مساهمات أسهمت بقدر كبير في تأسيس مفاهيم عقلانية<sup>(١٢٢)</sup> .

وقد تناولت المناظرات كل جوانب المعرفة وإنما كانت المناظرات والمحاورات لغة العصر الفكرية فدائماً مناظرات ومحاورات في كل مكان وفي كل موضوع علمي أو فلسفي أو أدبي، والمناظر ينتصر تارة وتارة ينهزم في تلك الساحة الفكرية<sup>(١٢٣)</sup> ولا نبالغ إذا قلنا أن روح المناظرة أصبحت شهوة من الشهوات العقلية في العصر حتى أنها تناولت كل شيء ويحدثنا الجاحظ حاكياً عن نفسه أنه كان يخرج



هو وفلان من أئمة المتكلمين كأبي إسحاق النظام يلتمسون الرياضة وبيتغون الحديث ويتناظرون في مسائل الكلام<sup>(١٢٤)</sup>.

وكان أهل المدن يتناظرون فيما بينهم حول أيها فوق الأخرى ناسا وأرضا وطيرا وحيوانا وغير ذلك مما يتفاضل به<sup>(١٢٥)</sup>. وكانت عامة الشعب في المدن يتناظرون فيما بينهم في موضوعات شتى من مثل تناظرهم على أي من ((مدينتي الكوفة والمدينة أشد حبا لرسول الله صلى عليه وآله وسلم))<sup>(١٢٦)</sup>. وقد يتناظر أصحاب المهن فيما بينهم من مثل تناظر صاحب الضأن مع صاحب الماعز<sup>(١٢٧)</sup>.

وتمثل لنا كتابات الجاحظ احتدام المناظرات في عصره، وإن من يستعرض هذه الكتابات يحس بمسحة المناظرة والجدل واضحة على كثير منها حتى على عنواناتها فكثير منها عنون بكلمة الرد أو كلمة النقض مما يكشف أن الجاحظ صنف الكتاب ردا أو نقضا لكتاب آخر ((وكان المناظرات لم تقف عند المجالس والمحاضرات في المساجد بل امتدت الى الكتب والمصنفات))<sup>(١٢٨)</sup>.

وكان للجاحظ أصحاب بين المسجدين ويمكن الافتراض بأنه اختلط بهم في شبابه وشارك في أحاديثهم ويذكر عندما ألف كتاب الحيوان مناقشة جرت بينه وبين أبي سيف الممرور<sup>(١٢٩)</sup> مما يدعو الى الاعتقاد بأن لأحاديث المسجد ومخالطة المسجدين أثرا في ملاحظات الجاحظ الدقيقة المنتشرة في كتبه فهي التي تعطيها نكهة فريدة، وإذا تدبرنا الأحاديث الواردة في البلاء وجدنا أنها تحتوي على نواذر مفيدة وملاحظات وآراء تتم عن ذوق سليم<sup>(١٣٠)</sup>، وكان المتحدثون يعالجون أفكارا بسيطة حتى أنهم كانوا يوجهون أذهانهم عن طريق المغالطات الى قضايا تافهة في الظاهر ولكنها مفيدة في الباطن لتكوين الرأي الصحيح والجاحظ معروف بأرائه السديدة وإن تذكره في شيخوخته لحوادث مرت في حياته ليدل على تأثره بمحاورات واستدلالات هؤلاء المسجدين الذين نأسف لعدم وفرة المعلومات عنهم وقد استطاع الجاحظ من خلال جماعة المسجدين أن يزيد من تجاربه الإنسانية، وإن المشاهد التي كانت تمر كل يوم أمام ناظره تتجدد دوما فإن مخالطة النحويين واللغويين مكنته من ملاحظة الجمهور المتنوع من أعراب وحضريين سارحين وراء حاجاتهم اليومية أو منصبين أنفسهم حكاما في المساجلات الشعرية أو مندسين بين حلقات العلماء وهنا أيضا استطاع الجاحظ أن يشهد ألعاب الحواة والمهرجين الذين يستغلون سذاجة العامة<sup>(١٣١)</sup> وهم الذين عناهم المسعودي عندما خاطب القارئ بقوله ((تفقد العامة في احتشادها وجموعها فلا تراهم الدهر إلا مرقلين الى قائد دب وضارب لدف على سياسة قرد أو متشوقين الى اللهو واللعب أو مختلفين الى متعبد متمس مخرق أو مستمعين الى قاص كذاب أو مجتمعين حول مضروب أو وقوفاً عند مصلوب ينطق بهم))<sup>(١٣٢)</sup>.

إن المربد والمسجد والسوق والجبانة<sup>(١٣٣)</sup> كلها أمكنة يجتمع فيها البصريون ليتحدثوا في مواضيع مختلفة لا نهاية لها على أن الجاحظ اكتسب في بيوت ومجالس أرباب اليسار تجاربه عن الحياة والناس.



ومن خلال هذا أستنتج أثر الوسط البصري في تكوين الجاحظ عقليا وأدبيا والموارد التي وفرها له مسقط رأسه البصرة لكي يشبع بها نهمه وحب اطلاعه .

#### ٤. دور سراة البصرة :

وكانت تعقد للعلماء في عصر الجاحظ مجالس علمية لمناقشة مثل هذه المسائل ورأينا دور الخلفاء والسراة يشهد هذه المجالس<sup>(١٣٤)</sup> وأنها كانت لها تقاليدها الموجبة لحسن الاستماع الى ما يطرح فيها من آراء والحرص على سماع أصوبها وفي ذلك يقول ((قال الحسن : إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه ))<sup>(١٣٥)</sup> ويظهر أن كثيراً من العلماء كانوا يدونون ما يستحسنون من أقوال وآراء تذكر في مجالسهم للانتفاع بها في أعمالهم وتصانيفهم<sup>(١٣٦)</sup> وكانوا ينصحون من يرتاد مجالسهم أن يكتب كل ما يسمع إمعاناً في الفائدة وتاماً للمعرفة<sup>(١٣٧)</sup> بخاصة أن العلماء هم أهل الثقة في المجتمع تؤخذ عنهم الأخبار الصادقة التي لا تحتاج الى استظهار صدقها من أحد<sup>(١٣٨)</sup> وكان العلماء يتخصصون في العلوم والآداب والفنون التي توافق طباعهم وقدراتهم ذلك أن التخصص في العلم كان من الأمور المقررة لدى علماء العصر وسوى ذلك مرفوض بل هو عندهم المرض بعينه ومما يرويه عن النظام في حيوانه يقول ((ومن أراد أن يعلم كل شي فينبغي لأهله أن يداووه فإن ذلك إنما تصور له بشيء اعتراه فمن كان ذكياً حافظاً فليقصد الى شيئين أو الى ثلاثة ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ولا يدع أن يمر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون عالماً بخواص ويكون غير غفل عن سائر ما يجري فيه الناس ويخوضون فيه ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً إلا نسي ما هو أكثر منه فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد ))<sup>(١٣٩)</sup> .

وكانت دور سراة البصرة منتديات يغشاها الشعراء والعلماء البصريون وقد ذكر الجاحظ بعض تلك الدور ومنها دار إسحاق بن سليمان الهاشمي الذي كان يهتم بجمع الكتب كثيراً قال الجاحظ ((ولقد دخلت على إسحاق بن سليمان في إمرته فرأيت السماطين والرجال مثولاً كأن على رؤوسهم الطير ورأيت فرشته وبزته ثم دخلت عليه وهو معزول وإذا هو في بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرقوق والقماطير والدفاتر والمساطر والمحابر فما رأيته قط أفخم ولا أقبل ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم لأنه جمع مع المهابة المحبة ومع الفخامة الحلاوة ومع السؤدد الحكمة ))<sup>(١٤٠)</sup> .

ودار محمد بن علي بن سليمان الهاشمي وكان من روادها إبراهيم النظام وكان يجري فيها بعض تجاربه على الحيوانات قال الجاحظ ((وكان سبب ماله عرف أصحابنا سكر البهائم أن محمد بن علي بن سليمان الهاشمي لما شرب على علويه كلب المطبخ وعلى الدهمان وعلى شراب البصريين وعلى كل من نزع إليه من الأقطار وتحذاه من الشراب الجواد من الشراب أحب أن يشرب على الإبل من البخاتي والعرب



ثم على الظلف من الجواميس والبقر ثم على الخيل العتاق والبراذين فلما فرغ من كل عظيم الجثة واسع الجفرة صار الى الشاء والظباء ثم صار الى النسور والكلب والى ابن عرس وحتى أتاهم حاو فأرغبوه فكان يحتال لأفواه الحيات حتى يصب في حلق أجوافها بالأقماع المدنية وبالمساعط ويتخذ لكل شيء شكله ((<sup>(١٤١)</sup>). ثم قال ((فحدثني إبراهيم قال شهدت أكثر هذه التجربة التي كانت منهم في اسكار البهائم وأصناف السباع)) (<sup>(١٤٢)</sup>).

ودار جعفر بن سليمان التي كانت تقوم فيها المناقشات ومن ذلك ما كان بين الأصمعي والمفضل الضبي (<sup>(١٤٣)</sup>) ودار آل نوبخت التي كان الشعراء والعلماء يفدون إليها وممن كان يفد عليها أبو نواس الذي هجا إسماعيل بن ينبخت بعد أن كان يرتعي على خوانه (<sup>(١٤٤)</sup>).

ودار موسى بن عمران التي كانت متدى يغلب عليه طابع المتكلمين غير أنه كان يستقبل في هذا الدار غير المتكلمين من الأدباء والعلماء وأهل الحديث (<sup>(١٤٥)</sup>) وكان موسى من أصدقاء الجاحظ وقد قال عنه ((وكان هو والكذب لا يأخذان في طريق ولم يكن عليه في الصدق مؤونة لإيثاره له حتى كان يستوي عنده ما يضر وما لا يضر)) (<sup>(١٤٦)</sup>) وكانت دار موسى مرتعا لكثير من أصدقائه يفدون عليه ويأكلون عنده وكان كريما مع أن القلال وصفه بغير ذلك (<sup>(١٤٧)</sup>).

ودار جعفر بن أبي جعفر المنصور التي كانت متدى يفد الناس إليه وقد ذكر الجاحظ بعض أولاده مثل أيوب الذي قال موسى بن عمران عنه ((لم أر أنطق من أيوب بن جعفر ويحيى بن خالد)) (<sup>(١٤٨)</sup>) ويبدو أن هذه الدار كانت ناديا للمتكلمين وكان ممن يفد إليهم إبراهيم النظام وأبو شمر وكانت تثور بينهما المناظرات وقد حكى الجاحظ مشهداً من مشاهدتها فقال ((وكان أبو شمر إذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كان كلامه إنما يخرج من صدع صخرة وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ إرادته وكان يقول : ليس من حق المنطق أن تستعين عليه بغيره حتى كلمه إبراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة في المسألة حتى حرك يديه وحل حبوته وحبا إليه حتى أخذ بيديه وفي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبي شمر الى قول إبراهيم)) (<sup>(١٤٩)</sup>).

ومن أولاده الذين ذكرهم الجاحظ : داود الذي عده في خطباء بني هاشم وقال عنه ((وكان أيوب فوق داود في الكلام والبيان)) (<sup>(١٥٠)</sup>) وإسماعيل الذي قال عنه ((من أرق الناس لسانا وأحسنهم بيانا)) (<sup>(١٥١)</sup>) وكان لهذه الدور أهمية في الثقافة لأنها كانت تجمع العلماء والأدباء والمتكلمين وكانت تثور فيها المناقشات وتعرض شتى الموضوعات التي أشار الى بعضها الجاحظ كالكلام في الفرق والعقائد والنحو والأدب والغناء والأخبار (<sup>(١٥٢)</sup>).



وبهذا من أنواع المجالس الخاصة التي تتعقد في دور الأمراء والأشراف والسراة وغيرهم من أهل البصرة من العوامل التي أثرت في تكوين الجاحظ وأمدت شخصيته بمقوماتها المختلفة . ولعل أول ما تمتاز به هذه الأندية أن كانت الأحاديث المختلفة التي تدور فيها والمساجلات التي تتردد في أبنائها أوسع دائرة وأكثر حرية وأشد انطلاقا وهي بذلك كانت بعيدة الأثر في تكيف الجو الأدبي والاجتماعي بالبصرة وفي توجيه العقول والإذواق فيها فهي وإن كانت مجالس خاصة لم تكن الأحاديث التي تتردد فيها محصورة بين جدرانها لاتغادرها بل ما أسرع ما كانت تنتشر وتشتع بين الناس إذ كان أكثر من يغشون هذه الأندية ممن يكثر بجمهور المتأدبين اتصالهم وممن يرون أن أحاديث العلم والأدب أمانة في أعناقهم حتى يؤديوها الى أهلها بإذاعتها فيهم وإذ كان هذا الجمهور بطبيعته عظيم الاحتفال بمثل هذه الأندية شديد التطلع الى تعرف أخبارها والتنقير عما يدور فيها كبير الكلف بروايتها والتعليق عليها سواء في ذلك ما يمس الأدب وما يمس العلم وما يمس الحياة العامة وسواء فيه ما كان جذاً خالصاً وما كان الى الهزل والعبث، هذا الى أن الناس يعدون أمثال هذه الأحاديث التي تصدر عن دور السراة اعتباراً مضاعفاً إذ هي ليست من تلك الأحاديث المبذولة وبذلك تتفتح لها نفوسهم تفتحاً شديداً وتتأثر بها عقولهم تأثراً بليغاً فلا تلبث أن تغمر الجو العام وتتغلغل في أعماق الناشئة المتطلعة (١٥٣) .

الجاحظ مدين بثقافته العربية الى أساتذته البصريين فلقد عاصر كثيراً من الأعلام في اللغة والأدب والدين والفلسفة ومثل هذه النخبة المتميزة التي عاصرها الجاحظ والتقى الكثيرين منهم شكلت طاقة دافعة للمنافسة إذ التميز يدفع الى التميز وأحسب أن الجاحظ حاول أن يجد له بين هذا الزخم العلمي والتميز المعرفي والنشاط الإبداعي مساراً يميزه فكان مزجه بين الدين والفلسفة والجد والهزل والعلوم العربية الأصلية والثقافة الأجنبية الوافدة (١٥٤) . ولذا فالجاحظ هو نسيج وحدة في جميع العلوم ((جمع بين علم الكلام والأخبار والفتيا والعربية وإثبات النبوة وفي الإمامة وفضائل المعتزلة وغير ذلك )) (١٥٥) والجاحظ رائد في علم مقارنة الأديان ومجادلة إلهود والنصارى وغيرهما من الديانات ، وهو رائد في مجال علم نفس الحيوان وهو علم من العلوم الحديثة، كما أنه الدافع الأول لعلم البلدان وتأثيرها فيمن يعيش فيها من البشر (١٥٦) ، إذ أخذ عن جلّ علماء وأئمة البصرة (١٥٧) ، كما أخذ عن أبي إسحاق النظام (١٨٠ \_ ٢٢١ هـ) وثمامة بن أشرس (١٥٨) وبذلك استقامت له علوم اللغة والكلام والنحو والحكمة وأتقن أساليب الأدب شعراً ونثراً كتابة وخطابة على السواء ولاشك أن اطلاعه على هذه العلوم جميعاً جعل ذهنه دائرة معارف كاملة وساعده على إقامة مذهب فكري فلسفي عرف بالجاحظية (١٥٩) .

وحدث عن يزيد بن هارون والسندي بن عبدويه وأبي يوسف القاضي روى عنه يموت بن المزرع ومحمد بن الدلهات ومحمد بن يزيد النحوي (١٦٠) . كما حدث بشيء يسير عن حجاج بن محمد بن حماد



بن سلمه وأبي يوسف القاضي وغيرهما روى عنه أبو بكر عبد الله بن داود السجستاني وابن بنت أخته يموت بن المزرع<sup>(١٦١)</sup>.

وعن أدباء الكتاب كابن وهب وابن الزيات أخذ الجاحظ الكثير من ثقافته الأدبية والنقدية وبهم عرف ماهية الشعر وقام بحق الأدب والكتابة حتى ليقول: طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب<sup>(١٦٢)</sup> ومحمد بن عبد الملك الزيات<sup>(١٦٣)</sup>. وأعجب أبو عثمان برواة الأخبار فقال فيهم: ورأيت عامتهم فقد طالت مشاهدتي لهم وهم لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعاني المنتخبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وكل كلام له رونق<sup>(١٦٤)</sup>.

ومن أئمة أهل البصرة من أمثال القاضي أبي يوسف (١٨٢ هـ) والسري بن عبدويه والحجاج بن محمد وحمام بن سلمة البصري الحافظ عالم أهل البصرة (١٦٧ هـ) وصالح بن جناح اللخمي ويزيد بن هارون (٢٠٦ هـ) وعبدالله بن عون وشعبة بن الحجاج وحمام بن زيد بن درهم (١٧٧ هـ) وأخذ عن الخليل (١٠٠ - ١٧٥ هـ) وسيبويه وعمر بن كركرة ومؤرخ السدوسي البصري (١٩٥ هـ) والنضر بن شميل (١٢٢ - ٢٠٣ هـ) وقطرب (٢٠٦ هـ) والأصمعي (١٢٢ - ١٢٦ هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى (٢٠٨ هـ) والأخفش الأوسط البصري (٢١٥ هـ) كما أخذ عن أبي إسحاق النظام (١٨٠ - ٢٢١ هـ) وثمامة بن أشرس (٢١٣ هـ) وغير هؤلاء من أئمة اللغة والشعر وعلوم العرب وممن لم ير قبلهم ولا بعدهم مثلهم وعنهم أخذ جل ما في أيدي الناس من العلم، بل كله<sup>(١٦٥)</sup>.

هذه أوجه الدراسة التي وجهت إليها مدارك الجاحظ وهؤلاء أشهر أساتذته الذين أحكم عنهم فنون الأدب والأخبار واللغة والكلام والحكمة أي تتقف بالثقافة الراقية لعهد وزاد على هذه العلوم النظرية فأعمل فكره فيما تعلم وحلل المسميات كما تعلم واتسع عقله للاشتغال بمسائل مهمة من الدين فكان صاحب مذهب وأتباع<sup>(١٦٦)</sup>.

وعن أثر الرواة في فكر الجاحظ فمنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء (ت ٢١١ هـ) روى عنه الجاحظ الأشعار والأخبار واللغة والطبيعات وذكره عشرات المرات واعترف بسعة علمه فقال عنه إنه ليس في الأرض أعلم بجميع العلوم منه وقال عنه ابن قتيبة ((كان شعار الغريب أغلب عيه وأخبار العرب وأيامها وكان مع معرفته لا يقيم البيت إذا أنشده حتى يكسره وكان يخطئ إذا قرأ القرآن نظر وكان يبغض العرب وقد ألف في مثالبها كتباً))<sup>(١٦٧)</sup> استقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد عندما سمع بعلمه وأكرمه عشرات آلاف الكتب التي أفاد منها الجاحظ في كتاب مجاز القرآن الكريم وكتاب التاج وكتاب الموالي وكتاب الحمام وكتاب الحيات وكتاب العقارب وكتاب الزرع وكتاب لصوص العرب



(١٦٨). ومن أسماء هذه الكتب نستدل على مدى تأثير الجاحظ بهذا العالم الموسوعي من حيث الموضوعات والمصادر، وإن كتاب الحيوان الذي ألفه الجاحظ يضم أبحاثاً عن الحمام والحيات والعقارب والإبل والخيول وهي الموضوعات ذاتها التي عالجه أبو عبيدة وللجاحظ كما لأبي عبيدة كتاب عن الزرع وكتاب آخر عن اللصوص وآخر عن القرآن وثمة موضوع اهتم به كل منهما هو اللحن في اللغة عالجه الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وصنف فيه أبو عبيدة كتاب ((ما تلحن به العامة)) (١٦٩).

أما الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي (٢١٦ هـ) فقد كان كأبي عبيدة إماماً في الأخبار والنوادر وكان أنشد منه بالشعر وأعلم منه بالنحو وكان أستاذاً للجاحظ الذي اتصل به وأخذ عنه الأشعار والأخبار والنوادر والمعارف الطبيعية عن الحيوانات فقد روى عنه أكثر من مائة مرة في كتاب الحيوان وحده ولقد وضع الأصمعي عشرات الكتب عن الحيوان واللغة والشعر والنوادر أفاد منها الجاحظ وضمن الكثير منها صفحات كتبه من تلك الكتب: كتاب خلق الفرس وكتاب الخيل وكتاب الأمل وكتاب الشفاء وكتاب الألفاظ وكتاب النوادر وكتاب أصول الكلام وكتاب نوادر العرب (١٧٠). وإذا كانت كتب الأصمعي عن الحيوانات تهتم بالناحية اللغوية كما يتضح من خبره مع أبي عبيدة في مجلس الرشيد بصدد كتاب الخيل وتسميته أعضاء هذا الحيوان وإنشاد الأشعار التي قيلت في ذلك (١٧١) فإن الجاحظ مدين للأصمعي بهذه الأشعار التي لا تحصى والتي ضمنها كتبه المختلفة وكذلك استقى من كتب أساتذته أو شفاها العديد من النوادر والاشتقاقات اللغوية وغيرها التي انتشرت في تضاعيف مؤلفاته لاسيما كتاب الحيوان والبيان والتبيين.

وأفاد الجاحظ أيضاً من علم آخر من أعلام اللغة والرواية هو ابن الأعرابي محمد بن زياد مولى بني هاشم في الكوفة (٢٣١ هـ) وقد كان له حلقة يحضرها خلق كثير من المستفيدين أملى عليهم أحمالاً من الكتب وكان يزعم أن أبا عبيدة والأصمعي لا يحسنان شيئاً، ومن تصانيفه كتاب النوادر وكتاب صفة الخيل وكتاب صفة الزرع وكتاب الخيل وكتاب معاني الشعر وكتاب الألفاظ وكتاب الذباب وهذه كتب تعالج موضوعات عالجه الجاحظ أيضاً في كتبه، إذ كان الجاحظ قد اجتمع به وسمع منه (١٧٢).

أما المعارف التي استقاها الجاحظ من ابن الأعرابي عن الحيوانات روى له النوادر المختلفة عن الجن والأعراب كما أفاد منه الكثير من الأشعار واللغة ويبدو أنه لم يكن يثق به كل الثقة ولهذا نسمعه يقول أحياناً وزعم ابن الأعرابي قال ((دعا أعرابي ربه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عفاريت الجن: اللهم لا تشركهم في ولدي ولا جسدي ولا دمي ولا مالي ولا تدخلهم بيتي ولا تجعلهم لي شركاء في شيء من أمر الدنيا والآخرة)) (١٧٣).

غير أن الجاحظ كان معجباً بخلف الأحمر (١٨٠ هـ) مولى أبي بردة وأستاذ الأصمعي وقد اشتهر خلف برواية الشعر ونحله، هذا الإعجاب يستشف من كلامه إذ يقول: وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي



ويحيى بن نجيم وأبي مالك وعمرو بن كركرة مع من جلست من رواة البغداديين فما رأيت أحدا منهم قصد الى شعر في النسيب فأنشده وكان خلف يجمع ذلك كله<sup>(١٧٤)</sup>. لم يذكر الجاحظ له كثيراً ومعظم ما رواه عنه على لسان الأصمعي قال : الأصمعي قال خلف الأحمر مما يدل على أنه لم يتصل به طويلا وهو يشير إلى أنهم ولدوا على لسانه كثيرا من الأشعار<sup>(١٧٥)</sup>.

وأخذ الجاحظ أيضا عن أبي عمرو الشيباني (٩٦ \_ ٢٠٦ هـ) الكوفي وكان من أئمة اللغة والشعر والحديث وكان على عكس خلف الأحمر ثقة وقد وضع عدة كتب أهمها كتاب الخيل وكتاب النوادر وكتاب الإبل وكتاب خلق الإنسان وكتاب اللغة<sup>(١٧٦)</sup>. ويظهر أن الجاحظ لم يكن راضيا عن بعض أحكامه في الشعر، كما في قوله: وأنا رأيت أبا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ونحن في المسجد الجمعة أن كلف رجلا فأحضر دواة وقرطاسا فكتبهما له ،وأنا ازمع أن صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا أبدا ولولا أن أدخل في الحكم بعض الفتك لزعمت أن ابنه لا يقول شعرا أبدا، وهما قوله

لا تحسبن الموت موت البلى      فإنما الموت سؤال الرجال  
كلاهما موت ولكن ذا      أفضع من ذاك لذل السؤال<sup>(١٧٧)</sup>

ومن شيوخه الكبار أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت ٢٤٥ هـ) البصري غلب عليه الغريب واللغة والنوادر وكان قدريا وثقة في روايته وهو الذي فضح خلف الأحمر ونحله للشعر إذ يقول : حدثني خلف الأحمر قال : أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخلوا علي به فكنت أعطيهم المنحول وأخذ الصحيح ثم مرضت فقلت لهم ويلكم أنا تائب الى الله هذا الشعر لي فلم يقبلوا مني فبقي منسوب الى العرب لهذا السبب<sup>(١٧٨)</sup>.

وذكر أبو زيد الأنصاري في كتبه الموضوعات ذاتها التي تناولها الجاحظ تقريبا وروى له مرارا أخبارا عن الحيوان ومعلومات لغوية جمة مثل على ذلك قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان أي جاءت بلادنا فهي قواطع إلينا فإذا كان الصيف فهي رواجع والطيور التي تقيم بأرض شتاء وصيفها أبدا فهي الأوابد والأوابد أيضا الدواهي يقال : جاء بابه أوابد الوحوش ومنها أوابد الأشعار والأوابد أيضا الإبل إذا توحش منها شيء فلم يقدر عليه إلا بعقر وأنشد أبو زيد في الأوابد :

ومنهل وردته التقاطا      طام فلم ألق به فراطا

ألا القطا أوابد غطاطا<sup>(١٧٩)</sup>

هناك رواية آخر اتصل به الجاحظ وسمع منه هو محمد بن سلام الجمحي (٢٣٢ هـ) وهو بصري مثله صاحب كتاب ((طبقات فحول الشعراء)) الذي يعد مرجعا هاما في الشعر وروى له عشرات المرات أخبارا عن المتكلمين وعن الحيوانات كالديك والخيل وعن الأعراب وعن الريح والمطر وعن الشعر والشعراء والخطباء ونسمعه يقول بصدد الرواية (حدثني محمد بن سلام عن شعيب بن حجر قال ... ) .





(١٨٠) ويروى الجاحظ كثيرا عن علي بن محمد المدائني<sup>(١٨١)</sup>. وهو يختلف عن الرواة السابقين بأسلوبه القصصي وميله الى النوارد المضحكة حول الجنس (قصة الجارية وأمها في الحيوان)<sup>(١٨٢)</sup>، ونزعه الاجتماعية النقدية (قصة الكلبين والثعلب في الحيوان)<sup>(١٨٣)</sup>، وكلها خصائص امتاز بها الجاحظ مما يدل على شدة تأثره به.

عدا هؤلاء الرواة الكبار وعلماء اللغة الأفاضل ثمة رواة عديدون ذكرهم الجاحظ أمثال محمد بن عباد وأبي خالد النميري وفهد الأحزم وأبي اليقظان سحيم بن حفص وأبي عقيل السواق وإبراهيم بن السندي وحمويه الخريبي وأبي جراد النهراردي وقد لا يسمى أحيانا من أخذ عنهم فيقول مثلا ((وسمعت حديثا من شيوخ ملاحي الموصل))<sup>(١٨٤)</sup>، أو يقول حدثني صديق لي قال أو يقول ((خبر رجل من بني هاشم كان منهوما بالصيد لهجا به كذا))<sup>(١٨٥)</sup>.

وإن معظم هؤلاء الرواة كانوا من المربديين<sup>(١٨٦)</sup>، والمسجديين<sup>(١٨٧)</sup>، كما يقول عنهم الجاحظ، وكانوا واسعى الرواية حتى أنهم لم يتركوا شعرا إلا روهه ولم يعدوا من الرواة من لم يرو أشعار المجانيين ولصوص من الأعراب وينسب الأعراب والأرجاز القصار وأشعار اليهود والأشعار المنصفة<sup>(١٨٨)</sup>.

أما المتكلمون الذين أثروا في الجاحظ ومعظم هؤلاء كانوا من المعتزلة وهم أبو الهذيل العلاف (١٣١ - ٢٣٥ هـ) جعله ابن المرتضى رأس الطبقة السادسة من المعتزلة وهو بصري المولد والمنشأ ولكنه قصد بغداد واتصل بالخلفاء وحظي لديهم<sup>(١٨٩)</sup>. ويبدو أن الجاحظ غير معجب بأبي الهذيل العلاف ولهذا ناقضه في معظم آرائه حول الاستطاعة والتكليف والخبر وخلق القرآن وكثيرا ما كان يعرض به وينحاز الى جانب النظام في جدلها فيتهمه بالمرآغة وإيثار الشك على اليقين إذ يقول ((وقيل لأبي الهذيل إنك إذا راوغت واعتلت- وأنت تكلم النظام- فأحسن حالاتك أن يشك الناس فيك وفيه، قال : خمسون شكا خير من يقين واحد))<sup>(١٩٠)</sup> ثم إن الجاحظ ينسب الى أبي الهذيل وأبي كلداء ومعمر وصحصح قولاً لا يبدي رضاه عنه يتعلق بدخول الحيوانات الجنة، مفاده أن الحيوانات التي تدخل الجنة هي تلك التي حسن منظرها وألذ الناس أما الحيوانات القبيحة المنظر فتصير بعد موتها الى النار<sup>(١٩١)</sup>.

ويرمي الجاحظ أبا الهذيل بالبطنة والشهوة الى الطعام حتى انه لا يستطيع أن يتمالك نفسه وهو يسمع أحدهم يصف له خروف معلقه وسط يوم حار في البصرة من أن يصرخ به ويلك قتلتنني وعلى الرغم من أن أبا الهذيل كان أستاذ النظام وكان يصحب تلميذه معه في صغره فان هذا التلميذ لم يكن بارا بأستاذه فلم يلبث بعد أن قوي عوده أن ناصبه العداء وسفه آراءه وناظره في مسائل عديد<sup>(١٩٢)</sup>.

والنظام (١٦٠ - ٢٣١ هـ) هو أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام أخذ عنه الجاحظ وكان أستاذه وصاحبه مدة طويلة وأعجب به وأخذ عنه الكلام ، وهو بصري المولد والنشأة، وكان قد انتقل الى عاصمة الخلافة



واتصل بالخلفاء ولقي الحفاوة منهم وتأثر بهشام بن الحكم الذي خالطه وبأبي الهذيل العلاف الذي تتلمذ له (١٩٣).

وكان الجاحظ يحترم أستاذه النظام ويجله وقد أورد ذكره عشرات المرات في كتبه وأثبت آراءه في مسائل عدة كمسألة الجزء الذي لا يتجزأ ومسألة الأعراض والجواهر ومسألة الطفرة وكان يثق به ثقة كبير فسمعه يقول عنه ((وأخبرني أبو اسحق إبراهيم بن سيار النظام وكنا لا نرتاب بحديثه إن حكى عن سماع أو عيان )) (١٩٤) ، وقال عنه في مكان آخر إنه كان أضيق الناس بحمل السر (١٩٥) .

وقد أفاد الجاحظ من النظام كثيراً في أبحاثه الطبيعية وأسلوبه الجدلي ورافقه مدة طويلة من الزمن ويحدثنا أنه ذهب معه الى مكان من الأمكنة أو التقاه في مجلس من المجالس أو ناظرة في قضية من القضايا ((مضيت أنا وأبو اسحق النظام وعمرو بن نهيون نريد الحديث في الجبان ولنتناظر في شيء من الكلام )) (١٩٦) . ومع ذلك لم ينج النظام من نقد تلميذه فنراه يرميه بسوء الظن والقياس على العارض والخاطر والسابق الذي لا يوثق به مع اعترافه بصدقه وبابتعاده عن الزلل ونسمعه يصفه قائلاً ((فخبرني أبو اسحق إبراهيم النظام وقد كان جالسا حيناً وكان إبراهيم مأمون اللسان قليل الزيف والزلل في باب الصدق والكذب ولم أزع أنه قليل الزيف والزلل على أن ذلك قد كان يكون منه وإن كان قليلاً وإنما قلت على مثل قولك فلان قليل الحياء وأنت لست تريدها حياء البتة وذلك أنهم ربما وضعوا القليل في موضع ليس وإنما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه وجوده قياسه على العارض والخاطر السابق الذي يوثق بمثله فلو كان بدل تصحيحه القياس التمس تصحيح الأصل الذي كان قاس عليه أمره على الخلاص ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظناً فإذا أتقن ذلك وأيقن جزم عليه وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر في صحة معناه ولكنه كان يقول سمعت ولا رأيته وكان كلامه إذا خرج مخرج الشهادة القاطعة لم يشك السامع أنه إنما حكى ذلك عن سماع قد امتحنه أو عن معانيه قد بهرته )) (١٩٧) .

وهناك آراء للنظام ذكرها الجاحظ ويعلق عليها معارضاً أو مؤيداً وإن كان أسلوبه على شكه فيها كان يقول ((زعم أبو إسحاق أن الطاعات إذا استوت استوى أهلها في العقاب وإن المعاصي إذا استوت استوى أهلها في العقاب وإذا لم يكن منها طاعة أو معصية استووا في التفضيل وزعم أن أجناس الحيوان وكل شيء يحس ويألم في التفضيل سواء وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين في الجنة وزعم أنه ليس بين الأطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق ولا بين السباع في ذلك وبين البهائم فرق وكان يقول إن هذه الأبدان السبعية والبهيمية لا تدخل الجنة ولكن الله عز وجل ينقل تلك الأرواح خالصة من تلك الآفات فيركبها في أي الصور أحب )) (١٩٨) .

وأخذ الجاحظ كذلك عن الأعراب الفصحاء من مثل أبي المهدي وأبي خيرة ويزيد بن كثوة وأبي الربيع الغنوي وأبي المنتجع بن نبهان التميمي وعبيد الكلابي وسواهم (١٩٩) . وأدرك الجاحظ من أعلام البصرة



عبد العزيز بن مسلم الزاهد (١٦٧ هـ) وبشار (١٦٧ هـ) وجريير بن حازم البصري (١٧٠ هـ) وسلام بن سليم المزني (١٧١ هـ) وسلام بن أبي مطيع (١٧٣ هـ) وبشر بن منصور الأزدي (١٨٠ هـ) وسواهم<sup>(٢٠٠)</sup>. وعن غير هؤلاء من العلماء أخذ الجاحظ أيضا حيث اختلف الى ندوات الشعراء ومجالس الأدباء يأخذ عنهم ويجالسهم ويناقشهم في البلاغة والأدب والشعر واللغة وكل ضروب المعرفة تساعده على ذلك موهبته الأصلية وحافظته القوية وذكاءه المتوقد وأمد طموحه وفقره بالمتابعة والقوة في التحصيل كما كان للأحداث في عصره وتطور الحياة والحضارة ولحركة الترجمة أثر في ثقافته وعقليته<sup>(٢٠١)</sup>. وعن أدباء الكتاب كابن وهب وابن الزيات أخذ الجاحظ الكثير كذلك من ثقافته الأدبية والنقدية وبهم عرف ماهية الشعر وقام بحق الأدب والكتابة حتى ليقول : طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات<sup>(٢٠٢)</sup>.

ولا ريب أن جلوس الجاحظ الى رواة البصرة هؤلاء وتلقيه عنهم في مجالسهم أو أخذه عن المدونات التي دونت فيها أحاديثهم كان أمرا كبيرا الأثر في تكوينه وفي رسم ملامح شخصيته وفي مبلغ تمثله للحياة العربية وتذوقه للآثار الصادرة عنها والاستشهاد بها وفوق ذلك فأكبر الظن عندنا أنه لم يكن بالجاحظ حين اتصل أول الأمر بهؤلاء الرواة أن يكون إخباريا ينفق حياته في التماس الأخبار وتعقبها ويجعل روايتها أكبر همه وغاية وكده فلم يكن اتصاله بهم وجلوسه إليهم أكثر من تعبير نوازعه العقلية ومطامحه الفنية عن نفسها حتى إذا تهيأ له بعد أن يتحرر من أغلال طلب العيش والتماس أسبابه بفضل رجل من سراة البصرة ومن مداخل متكلميها ومخالطيهم إذ كان هو الذي استنقذه من أزمنته وأصلح ما بينه وبين أمه ووجهه الى مجالس العلم مقبلا عليها خالصا لها<sup>(٢٠٣)</sup>.

أما أفنية الدور فإننا نجد النص على اتخاذها أماكن للعلم وحلقات للدرس فيما يحكيه الجاحظ عن أبي عبدالله الكرخي اللحياني إذ يقول إنه ((تحول الى الخريبة فادعى أنه فقيه وظن أن ذلك يجوز له لمكان لحيته وسمته فألقى على باب داره البواري وجلس إليه بعض الجيران))، ولعل بعض كبار الشيوخ كانوا يفضلون هذه الأفنية لحلقاتهم<sup>(٢٠٤)</sup>، ويظهر أن الأصمعي كان يتخذ حلقاته في مثل هذه المواضع كما يشير الى ذلك هذا الخبر الذي يذكره ياقوت في ترجمة أبي عبيدة<sup>(٢٠٥)</sup> ((قال التوزي : بلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه تأليف كتاب المجاز في القرآن وأنه قال : يفسر ذلك برأيه فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو فركب حماره في ذلك اليوم ومر بحلقة الأصمعي فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه)) فسياق هذا الخبر يدل على أن الأصمعي كان يتخذ حلقاته في فناء من تلك الأفنية التي تقع بين الدور قريبة من الطريق ولعله في مثل هذه الأفنية كان إبراهيم بن جبلة السكوني يعلم



الفتيان الخطابة في ذلك الخبر الذي أورد فيه الجاحظ كلام بشر بن المعتمر في البلاغة وصفاتها ووسائلها (٢٠٦).

يعتمد منهج الجاحظ العلمي في بحوثه ودراساته على عدة قواعد أهمها استخدام الاستقراء القائم على الملاحظة والتجربة والروح النقدية العالية والشك المنهجي في كل ما يعرض له من دراسة وبحث والنزاهة والموضوعية والإنصاف وهذه كلها من الأمور المعروفة في المنهج العلمي وخصائص التفكير العلمي الحديث (٢٠٧). أما فيما يتصل بالروح النقدية التي كان يتمتع بها الجاحظ فإننا نستطيع القول بأن هذه الروح إنما تصدر عن نزعة عقلية واضحة تميزت بها المعتزلة بصفة عامة والجاحظ بصفة خاصة فالعقل عند الجاحظ يحتل مكانة بارزة فهو الحاكم على الحس ((ولعمري إن العيون لتخطئ وإن الحواس لتكذب وما الحكم القاطع إلا للذهن وما الاستبانة الصحيحة إلا للعقل إذ كان زماما على الأعضاء وعيارا على الحواس)) (٢٠٨) ومن هنا نجد الجاحظ يرد بشدة على أي خبر لا يتفق والمنطق العلمي الذي كرس حياته من أجله ولا يقبل أية فكرة إلا بعد تمحيص مهمما يكن مصدرها .

وكان من أهم ما شغف به الاعتزال وقد مضى يلزم أساتذته في عصره ويستوعب كل ما كان عندهم بادئاً بأبي الهذيل العلاف وكلما اشتهر معتزلي ولزم حلقته وكان من أهم من لزمهم النظام (٢٠٩) وكان لا يباري في المناظرة وإفحام الخصوم بالبراهين والأدلة القاطعة فتلقن ذلك عنه وسنراه يطبقه في كل جانب من جوانب كتاباته الكثيرة وفيه يقول ((لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل وأقول لولا أصحاب إبراهيم وإبراهيم (النظام) لهلكت العوام من المعتزلة فإني أقول إنه قد أنهج لهم سبلاً وفق لهم أمورا واختصر لهم أبواباً ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة)) (٢١٠).

وكان النظام يمزج بقوة بين الاعتزال والفلسفة وكأنه هو الذي دفع الجاحظ دفعاً للتزود من جداولها بكل ما استطاع ويبدو أنه هو الذي غرس في نفسه فكرة الثقافة الموسوعية فإن ما رواه عنه في كتابه الحيوان يدل على أنه كان مستوعباً لكل الثقافات في عصره من فارسية وهندية وعربية وإسلامية (٢١١).

يعد الجاحظ أكبر كاتب ظهر في العصر العباسي وهو في الحق الثمرة الناضجة لكل الجهود العقلية الخصبة التي نهض بها المعتزلة سواء من حيث وضوح المنطق أو من حيث قوة الاستدلال ومن حيث القدرة على التوليد للمعاني وكأنه يستمد من مخازن عقلية لا تنفذ، ولاحظ ذلك ابن المعتز وغيره من القدماء عنده فقالوا إنه يستخدم المذهب الكلامي في كتاباته (٢١٢).

وإن نظرة واحدة في قائمة كتب الجاحظ التي أوردها في مقدمة كتابه الحيوان والقائمة التي أوردها ياقوت في معجم الأدباء ترينا أن هذا الرجل كان شديد الصلة بمجتمعه الذي عاش فيه وإن النزعة البصرية أقوى لأنها مهد الصبا ومصدر الثقافة وعهد النشأة (٢١٣) ولكن الروح الاجتماعية الشعبية كانت



هي الغالبة على بيئة البصرة وبخاصة في المدة التي عاصرها الجاحظ. وكانت الصلة وثيقة بين الحياة الاجتماعية الشعبية والأدب وهذه الصلة الوثيقة بين الحياة العقلية والشعب البصري وفي هذه الفترة بالذات (فترة حياة الجاحظ) وفي البصرة خاصة كانت العوامل الشعبية قوية جداً<sup>(٢١٤)</sup>.

وكان لبيئته الفكرية أثرها الكبير في نمو السخرية عنده وحذقه لها وبراعته فيها فلقد نشأ في الكتاب حتى كبرت سنه ثم قصد شيوخ البصرة وأتمتها في العلم والأدب ولزمهم ومن شيوخ البصرة الذين ما يضيعون فرصة السخرية إذا سنحت لهم ويخلقونها خلقاً إن لم تأتهم طوعاً، منهم (أبو عبيدة معمر بن المثنى) وقد كان فكه المجلس مولعاً بالتعريض والتلويع والتهكم والسخرية، ومنهم إبراهيم بن سيار النظام وكان مشهوراً بالدعابة والسخرية وقد لازمه الجاحظ ملازمة شديدة تركت آثارها في صفحات عقله وجنابات نفسه، ومنهم ثمامة بن الأشرس وقد نقل عنه تلميذه الجاحظ كثيراً من أدبه كما كان أستاذاً له في المجون والفكاهة والنادرة اللاذعة<sup>(٢١٥)</sup>، ومنهم أبو الهذيل العلاف إمام الاعتزال المشهور وكانت تشيع السخرية في أحاديثه، وأبو سعيد بن أوس الأنصاري وعبد الملك بن قريب الأصمعي وأبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الذي كان بارع النكتة مشوه الخلق أجلح وطالت ملازمة الجاحظ له وتعمقت صلته به لتشابههما في الطبع وقبح الشكل<sup>(٢١٦)</sup>.

وفي عهد الجاحظ أيضاً تعددت الثقافات وكثرت المذاهب وتعددت النحل والفرق الدينية والجاحظ أديب آمن ((بحرية الفكر ولهج بها فلم يقلد غيره ولم يذب شخصيته في شخصية سواه ولهذا تهكم أشد التهكم بما يسفه العقل واعترض على كثير من العلماء والفلاسفة فيما لم يقنع به))<sup>(٢١٧)</sup>.

لقد نشأ الجاحظ في مدينة البصرة وفيها ترعرع فكان شديد التعلق بها والحنين إليها ولحياتها العقلية والفكرية التي أمدت العقل العربي بأكثر مقوماته، إذ إن مدينة البصرة بموقعها الجغرافي من الموانئ العربية المهمة لأنه طريق التجارة البحرية وكانت ملتقى الأجناس الكثيرة والعقليات المختلفة والنوازع المتعددة فذلك كانت ملتقى للثقافات المختلفة فضلاً عن كونها بلد المعتزلة<sup>(٢١٨)</sup>. ولقد نشأ الجاحظ في هذه المدينة ذي الثقافات المتعددة وذو النوعية والعقلية<sup>(٢١٩)</sup>.

إن لحياة الجاحظ في البصرة أثراً كبيراً في نتاجه العلمي ونقده الأدبي لأن النشأة والبيئة لهما الأثر الأكبر والقسط الأوفر في توجيه أدب الأديب ومده وتغذيته، فالوسط الاجتماعي والأدبي والفكري والاقتصادي قد عمل بتفاعلاته على تكوين شخصية الجاحظ وذهنيته الجبارة فهو نتاج صاف للبصرة إذ قضى فيها المرحلة الأولى من حياته لكنه كان نبتة إقليمية تغذت بنسغ قوي مستمد من أرض خصبة فلم تتفتح بصورة كاملة ولم تؤت ثمارها إلا في العاصمة بوصفها ملتقى رجال الفكر والثقافة والحضارة، وإن عصره الذي دعاه بعضهم بعصر الجاحظ من العصور الهامة والفاضلة في التاريخ كونه عصراً تمازجت فيه الثقافات، وكان الجاحظ وليد هذا العصر<sup>(٢٢٠)</sup>، ففي هذه البيئة الخصبة بألوان العلوم والآداب



المتعددة النزعات والأجناس المتباينة الأخلاق والعادات ينشأ الجاحظ، فيلاحظ ويجرب ويراقب ويجمع في ثقافته بين نزعات مختلفة أبرزها النزعة الفلسفية عند اليونان والنزعة البيانية عند العرب ونزعة التأنق الأسلوبية عند الفرس (٢٢١).

إن العوامل التي كان لها أثر حقيقي في تكوين هذه النزعة العقلية عند الجاحظ تتمثل بالبيئة التي نشأ فيها ونعني نزعات الأساتذة الذين أخذ عنهم لا النحو والأدب فحسب بل أيضا جميع آرائه الفلسفية والفكرية والعقيدية ومعروف أن الجاحظ نشأ في البصرة حيث كانت تسودها النزعة العقلية وأنه تتلمذ للنظام وأخذ عنه مبادئ المعتزلة وأساليب علم الكلام ومعروف أيضا أنه عرف منطق أرسطو وقرأ شيئا عن كتبه ولكنه مهما كان للمنطق والفلسفة اليونانية من تأثير مباشر في عقليته ومهما كانت استعداداته قابلة لمثل هذا التأثير فالفضل الأول لتبريزه في هذه النزعة المنطقية يرجع الى كونه متكلماً ومتكلماً معتزلياً فقد تبلورت هذه النزعة وظهرت معالمها في أسلوبه عن طريق اشتغاله بعلم الكلام (٢٢٢).

إن التكوين الثقافي للجاحظ قد تكامل أساسا في البصرة إذ غلبت على ثقافته في مرحلة إقامته بالبصرة العربية من اللغة والشعر والحديث والتفسير مع بعض الثقافات الكلامية المتأثرة بالفلسفة والعقليات مع أساتذته من المعتزلة (٢٢٣) وقد تأثر الجاحظ بالعقل وأثره في الفكر الإنساني فتأثر بالمعتزلة تلك الفرقة الإسلامية التي أعطت للعقل أهميته وهي أعظم مدرسة من مدارس الفكر والكلام عرفها الإسلام وأقدمها ظهرت في بداية القرن الثاني للهجرة في مدينة البصرة (٢٢٤).

إن هذا الدور في حياة الجاحظ لقاء بيانات مختلفة كونت شخصيته ولونت عقليته ووجهته تلك الوجهة التي نراها في أدبه فليس ينبغي أن نقف من ذلك عند شيوخه الذين تلقى عنهم في المسجد والأعراب الذين شافهم وسمع منهم في المربد ودكاكين الوراقين التي كان يبيت فيها للنظر في ذخائرها فهناك الى جانب ذلك كله تلك البيئة التي تختلف عن هذه البيانات وما إليها والتي قد تكون أعمق منها أثرا وأبعد خطرا وهي بيئة الحياة العامة الكادحة التي حمل الجاحظ عليها ليجد فيها أسباب حياته المادية فأمدته بكثير من أسباب عبقريته الفنية (٢٢٥).

ومن خلال معرفة طبيعة علاقاته ببعض الشخصيات النابذة في مجتمعه يكشف عن بعض دواخل شخصيته وما يداخلها من مؤثرات يمكن أن تنعكس على مسلكه الخارجي الظاهر في كتاباته ولاريب في أن البصرة التي كانت حاضرة للفكر والمعرفة ومركزا أدبيا ممتازا فتحت عيني أديبنا الجاحظ على صنوف العلم والدين والأدب فنهل أكبر قدر مستطاع وأقبل على التحصيل إقبالا منقطع النظير لازمه حتى آخر لحظة من حياته (٢٢٦).

أما مظاهر النزعة العقلية في البصرة واتصال الجاحظ بها، فالتفتق عليه بين المؤرخين والأدباء أن النزعة العقلية كانت غالبية في البصرة في جميع مرافقها، ففي الحياة الدينية نلاحظ أنها كانت موطننا



للحركات الفكرية التي تعتمد أولاً على العقل، ففيها ولدت القدرية ونشأت ومنها انبثقت المعتزلة وازدهرت وهي لا تعدو أن تكون امتداداً للحركة القدرية وكلتاها كانتا تحكمان العقل في المسائل الدينية وتطبقان عليها أحكام القياس وتقر بما ينص عليه من حلول<sup>(٢٢٧)</sup>، وفي العلوم النحوية نلمس النزعة نفسها ففي البصرة نشأت مدرسة النحويين التي تبنى قواعدها على الاستدلال والاستنتاج القياس وقد كان عبدالله بن أبي إسحاق منشئ هذه المدرسة أول من طبق على النحو الطريقة الاستقرائية والقياسية<sup>(٢٢٨)</sup> التي تجلت فيما بعد تماماً في كتاب سيبويه، وجدير بالذكر أن أستاذ الجاحظ هذا في النحو كان متكلماً قديراً وأحذق الناس بالجدل وقد قرأ له أبو عثمان وتتلذذ له، أما فيما يتعلق بالكلام فإنه تتلمذ للنظام المعتزلي وكان قد تعرف إليه في مجلس أبي الهذيل وهكذا يتبين لنا مصدر نزعة الجاحظ الفكرية ويتضح لنا كيف أن بيئة البصرة الفكرية أثرت عليه وطبعته بطابعها العقلي منذ أول نشأته وهذه النزعة العقلية نراها بارزة عند الجاحظ بصفة خاصة ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها أنه نشأ بالبصرة هذه المدينة التي امتازت كما بينا فيما سبق بنزعتها العقلية في مختلف الميادين وهذه النزعة كما لا يخفى على أحد ليست إلا وجهاً واحداً لحقيقة ذات وجهين متكاملين أما الوجه الثاني فيقوم على حرية الرأي إذ لا يستطيع إنسان أن يحكم عقله في حقيقة أو عقيدة أو أسطورة أو تقليد مأثور إلا إذا كان له سابق استعداد لتقبل ما قد يتوصل إليه وإن اختلف عن ظنه أو اعتقاده فجاء الجاحظ متأثراً بهذه النزعة ومما زاد هذا العامل الخارجي فاعلية قابليته الطبيعية له وأوضاع البيئة التي عاش فيها<sup>(٢٢٩)</sup> فكان شديد الولع بالمطالعة يدفعه إليها حب الاطلاع على كل شيء مهما كان ((فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائن ما كان حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويثبت فيها للنظر))<sup>(٢٣٠)</sup>

إن التكوين الثقافي للجاحظ قد تكامل أساساً في البصرة وإن الإضافات التي وجدها في بغداد كانت ضئيلة قياساً إلى ثقافته البصرية وإن مرحلة التقاء الجاحظ بالمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وعيشه في بغداد وسامراء كانت مرحلة الإنتاج والتأليف أكثر من كونها مرحلة لتكوين رسوسه الثقافية، وإن مرحلة ما بعد البصرة قد عززت قدرات الجاحظ في مواكبة النهضة الثقافية التي أثمرتها حركة الترجمة النشيطة في بغداد<sup>(٢٣١)</sup>.

وأخذ كلما تقدم به الزمن تزداد مكانته وتطير شهرته العلمية والأدبية في كل مكان ولا شك أن اتساع الثقافة العربية في عصر الرشيد بترجمة الثقافات الأجنبية إلى لغة القرآن الكريم وحركة المعتزلة وتأثيراتها الفكرية الواسعة مما أمد الجاحظ الطموح بطاقات قوية من المعارف والعلوم وظل مقيماً بالبصرة عاكفاً على القراءة والكتابة<sup>(٢٣٢)</sup>، وهكذا كانت البيئة الثقافية في عهد الجاحظ ولا نستطيع الفصل بين الحياة الثقافية والاجتماعية لأنها تتداخل مع بعضها البعض وتتعاون في إعطاء صورة كاملة



للعصر وتلك العوامل عاشها الجاحظ وأثرت في ثقافته وتكوينه الشخصي، ودليل ذلك آثاره المختلفة الألوان<sup>(٢٣٣)</sup>.

إن للجاحظ أربع ثقافات تفقهه فهي اللغة والأدب والدين والعلم، أما اللغة وربما كانت هذه الناحية أعجب نواحي الجاحظ فقد أخذها عن أهلها الذين لم يفسد بيانهم شيء من العجمة فإذا ملك الجاحظ من زمام الفصاحة ما لم يملك غيره من الكتاب فإن لمخالطته عرب المربد سرّاً في هذه الفصاحة، وأما الأدب فقد خرج فيه رجال كانوا مضارب الأمثال فيه، وكذلك الدين والعلم والفلسفة فقد استضاء في هذا كله بضياء رجل كان مضرب المثل في مذهبه<sup>(٢٣٤)</sup>، فأورثه ذلك علماً غزيراً وثقافة واسعة فأصبح يروي الأدب وينقده نقد البصير وينقل آراء الفلاسفة نقل فيلسوف حكيم، وكان من أثره في الأدب أنه قدر موضوعه فكان أول من ألف كتاباً جامعاً في الأدب، أما أثره في الفلسفة فقد صاغها صياغة أدبية ومزجها بالأدب فربط أقوال الأدباء بأقوال الفلاسفة<sup>(٢٣٥)</sup>.

إن بيئة البصرة الثقافية هي التي مكنت الجاحظ من بناء شخصيته الأدبية والعلمية، فالبصرة هي أولى الحواضر الإسلامية التي شيدها العرب بعد قيام دولتهم الموحدة وظلت حتى بعد بناء مدينة بغداد بردح من الزمن أهم مركز ثقافي في الدولة العربية الإسلامية فقد تجمع فيها فصحاء العرب وخطبائهم وتكاملت على يد نوابغها علوم النحو والصرف واللغة ونقلت إليها علوم وآداب الأمم الأخرى في حركة الترجمة المبكرة التي نشطت في رحابها<sup>(٢٣٦)</sup>، والبصرة بعد هذا وذاك مدرسة المناطقة والمتكلمين من شيوخ المعتزلة ورواد الفلسفة، وكان جامعها الكبير ومربدها المشهور وحلقات الدرس والمناظرات جامعات مفتوحة يتبارى إليها الشباب وطلاب العلم. ففي هذه البيئة العلمية نشأ الجاحظ<sup>(٢٣٧)</sup>.

### الخاتمة :

إن مدينة البصرة بما فيها من جو علمي واجتماعي وحضاري هي التي صقلت موهبة الجاحظ العلمية والأدبية ففيها المسجد المشهور مسجد البصرة الذي كان يدرس فيه كبار علماء البصرة كالحسن البصري وواصل بن عطاء إضافة إلى المربد الذي كانت تقف إليه الأعراب من كل جهة للتجارة ولقول الشعر والأدب فلذلك نجد الجاحظ يتردد بين المسجد والمربد يأخذ من هنا العلم ومن هناك الشعر والأدب من الأعراب شفاهاً وتارة تجده في دكاكين الوراقين ليستشف ما في الكتب من علم ويغرف منها الأدب هذه البيئة جعلت من الجاحظ رجل علم وأدب ومنحته العبقرية التي خلّدت على مر العصور والأزمنة.

إن الدارس لمجريات حياة الجاحظ يتبين ولوجه مجالات إيجابية متنوعة بديلاً مما ينقصه وتعويضاً من ذلك التعويض في الجد والاجتهاد فالجاحظ لم يترك وسيلة للعلم والمعرفة إلا طرقها ونهل منها وقد مكّنه استعداده الفطري ومواهبه الطبيعية ليصبح موسوعة علم ودائرة معارف واسعة كان يرتاد الكتابات





والمساجد وبخاصة مسجد البصرة الغني بمعارف علمائه وتنوع نزعاتهم وطبائعهم ويحضر مرصد البصرة الشهير بثقافته المتنوعة من أدبية وعلمية وفلسفية ويشارك في المنتديات والمجالس العامة وبخاصة دار مويس بن عمران وغيرها من معاهد العلم ومظان المعرفة ويبعث في دكاكين الوراقين للنظر في ذخائرها وقد جعل من الكتاب أستاذًا يصحبه أنى ذهب ويدارسه حين يفرغ له في أي وقد أتت الدراسة والجد أكلهما لدى الجاحظ المتميز بذكائه المتوقد وقريحته النقادة وبصيرته النافذة وحافظته القوية فعمد إلى الكتابة والتأليف ولم يثنه عن ذلك مرضه فحيويته الكامنة كانت تثور به عليه .

ولاشك أن عصر الجاحظ وعقليته وشغفه بالدراسة والبحث وعكوفه على القراءة ونشأته بالبصرة وتلقيه اللغة عن الأعراب في المربد والعلماء في حلقات البصرة ومجامعها العلمية وتلمذته على كثير من أساتذة الثقافة العربية في شتى مناحيها كأبي يوسف القاضي والنظام والأصمعي والأخفش وابن الأعرابي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري كان له أثره في ثقافة الجاحظ الواسعة الجوانب المتعددة الألوان .

إن المكون الأساسي لفكره ومذهبه الثقافي يتمثل في تبنيه مذهب المعتزلة الذي نشأ أول الأمر في مدينة البصرة فهي مدينة المعتزلة كما كان الجاحظ من رواد مسجد البصرة وقد عرف عنه شغفه وانقطاعه إلى هذه المناظرات المسجدية حتى سموا جماعة المسجد بـ(المسجديين) وقد كان الجاحظ منهم وبهذه العلاقة أضاف الجاحظ لثقافته بعداً جديداً كما أضاف لفكره رافداً مميزاً .

لم يكن الجاحظ يكتفي بالمعرفة وإنما يتعداها إلى التجربة والاستنباط ولم يكتف بالكتب يأخذ منها والأساتذة يرتشف من علومهم بل كان يغشى المربد يتلقف الكتب مشافهة من الأعراب ويحضر مجالس الشعراء والأدباء يسمع أشعارهم ومحاوراتهم ويتأمل ويوازن ويقارن وكان له في النقاش والجدل والمناظرة باع طويل اكتسبه من أئمة الاعتزال وكانت قدمه تجره دائماً إلى حلقات الإخباريين والقصاصين والمتنדרين المتفككين الساخرين مما يصادف هوى في نفسه وراحة تعب .

### الهوامش :

(١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت ، ج ١ ، ص ٩٦ \_ ٩٧ .

(٢) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ج ١٢ ، ص ٢١٢ ؛ ابن عساكر ، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عبد الله الشافعي (ت ٤٩٩ هـ) : تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق : محب الدين ابن سعيد عمر بن عزامه العمروني ، دار الفكر ، ط ١ ، ١٩٩٦ ، ج ٤٥ ، ص ٣٤١ ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) أرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المسمى بمعجم الأدباء أو طبقات الأطباء ، ط ٣ ، دار الفكر ، د.ت ، ج ١٦ ، ص ٧٤ ؛ ابن نباتة ، جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد ابن شرف الدين الفارقي (ت ٧٦٨ هـ) : سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ ، ص ٢٤٨ .



- (٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ن ص ١٤ ؛ الرفاعي ، د. احمد فريد : عصر المأمون ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٢٨ ، ج ١ ، ص ٤٢١ ؛ البصير ، محمد مهدي : في الأدب العباسي ، ط ٣ ، ١٩٧٠ ، ص ٤٢ ؛ علي ، محمد كرد : أمراء البيان ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ج ١ ، ص ٣١٨ ؛ خفاجي ، محمد عبد المنعم : أبو عثمان الجاحظ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٥٦ .
- (٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٤ ؛ الرفاعي ، المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٢١ ؛ البصير ، المصدر نفسه ، ص ٤٢ ؛ سنقر ، د. صالحة : المرأة عند الجاحظ بين دافعية النمو ودافعية النقص ، مجلة التراث العربي ، العدد ٦١ ، السنة ١٦ ، ١٩٩٥ ، ص ٣٩ .
- (٥) الحاجري ، طه : الجاحظ حياته وأثاره ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٨٨ ، ص ٩١ ؛ ألكيالي ، سامي : النفس الإنسانية في أدب الجاحظ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ ، ص ٧ ؛ عبد الغني ، عامر عطا : دور البصرة في التراث العلمي ، بحث الجاحظ وتراثه العلمي ، مركز أحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، د. ت ، ص ١٥٠ ؛ حسين ، السيد عبد الحليم محمد : السخرية في أدب الجاحظ ، الدار الجماهيرية ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٣٢ ؛ زكي ، د. احمد كمال : الجاحظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ ، ص ١١ .
- (٦) ابن المرتضى ، احمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ) : المنية والأمل ، اعتنى بتصحيحه توما ارتلو ، مط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣١٦ هـ ، ص ٣٨ ؛ عويس ، د. محمد : المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ١٢ ؛ زكي ، الجاحظ ، ص ١٦ ؛ سنقر ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
- (٧) سيحان : هو نهر بالبصرة (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٩٣)
- (٨) ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج ١٥ ، ص ٧٤ ؛ الرفاعي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢١ .
- (٩) أبو علي ، د. محمد بركات حمدي : سخرية الجاحظ من بخلاته ، ط ٢ ، الأردن ، مكتبة الأقصى ، ١٩٨٢ ، ص ٢٥ .
- (١٠) الحاجري ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
- (١١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : رسائل الجاحظ ، رسالة الأوطان والبلدان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .
- (١٢) الحاجري ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .
- (١٣) بلات ، د. شارل : الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ترجمة : د. إبراهيم الكيلاني ، دار الیقظة العربية ، دمشق ، ١٩٦١ ، ص ١١ .
- (١٤) الجاحظ ، الرسائل (الأوطان والبلدان) ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .
- (١٥) الجاحظ ، رسالة الأوطان والبلدان ، ج ٤ ، ص ١٣٩ .
- (١٦) الجاحظ ، رسالة الأوطان والبلدان ، ج ٤ ، ص ١٣٩ \_ ١٤٠ ، ص ٤٩٨ .
- (١٧) حسين ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
- (١٨) الحاجري ، المصدر السابق ، ص ٩٦ .
- (١٩) الحاجري ، المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
- (٢٠) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٤ .



- (٢١) ضيف ، د. شوقي : العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، مصر ، ط ٢ ، د. ت ، ص ٥٨٧ ؛ جبري ، شفيق : الجاحظ معلم العقل والأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٢٠٤ ؛ جبري ، شفيق : الجاحظ ، مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ١١ ، ج ٢١ ، ١٩٣١ ، ص ٣٧ .
- (٢٢) ياقوت الحموي ، معجم الأديباء ، ج ١٦ ، ص ٧٤ .
- (٢٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج ١ ، ص ١٧٠ .
- (٢٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ .
- (٢٥) السندوبي ، حسن : أدب الجاحظ ، المطبعة الرحمانية ، ط ١ ، ١٩٣١ ، ص ٢٦ .
- (٢٦) نوفل ، د. سيد : أبو عثمان الجاحظ في أسلوب الأديب المجدد والعالم الفيلسوف ، مجلة الهلال ، العدد ٩ ، السنة ٨١ ، ١٩٨٣ ، ص ٣١ .
- (٢٧) علي ، أمراء البيان ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .
- (٢٨) ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٨٩ ؛ ابن المرتضى ، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ) : طبقات المعتزلة ، تحقيق : سوسنة ديفلد فلزر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت ، ص ٣٨٠ .
- (٢٩) ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥ هـ) : فهرست ابن النديم ن مط الاستقامة ، القاهرة ، د. ت ، ص ؛ ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ١٦ ، ص ٧٥ ؛ ابن قاضي شهبه ، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١ هـ) : طبقات النحاة واللغويين مصورة الأوقاف برقم ١١١ عن مخطوطة الظاهرية ، ص ٤٥٧ .
- (٣٠) يونس بن عمران : في بعض النصوص موسى أو موسى بن عمران معتزلي من أصحاب النظام ذكره المرتضى في الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة (المنية والأمل ، ص ٣٩) .
- (٣١) ابن المرتضى ، المنية والأمل ن ص ٣٨ \_ ٣٩ ؛ الرفاعي ، عصر المأمون ، ج ١ ، ص ٤٢١ ، خفاجي ، محمد عبد المنعم : أبو عثمان الجاحظ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٣ ، ص ٥٧ .
- (٣٢) جعفر ، نوري : الجوانب السايكولوجية في أدب الجاحظ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٩ ؛ الهاشمي ، عبد المنعم : العلماء والعابرة المسلمون ، دار البحار ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٨٢ ؛ جبر ، جميل : الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، دار صادر بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٧ .
- (٣٣) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
- (٣٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٤ .
- (٣٥) المرتضى ، المنية والأمل ، ص ٣٨ .
- (٣٦) ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٥٨ .
- (٣٧) الحاجري ، المصدر السابق ، ص ١٦٤ .
- (٣٨) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ، ص ٤٦٨ .
- (٣٩) ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط ١ ، المكتب التجاري ، بيروت ، د. ت ، ج ٢ ، ص ١٢١ .
- (٤٠) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط ٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ١١١ .



- (٤١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : البخلاء ، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري ، دار المعارف ، مصر ، د.ت ، ص ٢٠٩ .
- (٤٢) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ١١١ .
- (٤٣) النجم ، وديعة طه : الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، منشورات دار الجاحظ ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ١١ .
- (٤٤) عزام ، د. محفوظ علي : في الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ ، دار الهداية للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ٨٣ .
- (٤٥) عبد الغني ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ .
- (٤٦) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٧ ، ص ٤١ .
- (٤٧) الحمود ، د. محمد حسن : دور البصرة في التراث العلمي ، بحث الفلسفة الحيوانية والمنهج العلمي عند الجاحظ ، مركز أحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، د.ت ، ص ٤٩ .
- (٤٨) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ٨٥ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) : سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ط ١١ ، اشرف على تحقيق الكتاب شعيب الارنؤوط ، بيروت ، ٢٠١١ ، ج ١١ ، ص ٥٢٦ ؛ ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٧٥ ؛ علي ن أمراء البيان ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ؛ الرفاعي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٢١ ؛ المرتضى ، الامالي ، ج ١ ، ص ١٣٨ .
- (٤٩) الحاجري ، د. محمد طه : الجاحظ مؤرخ الحياة الشعبية ، مجلة المورد ، المجلد ١٢ ، العدد ١ ، ١٩٨٣ ، ص ٢٩ .
- (٥٠) بلات ، المصدر السابق ، ص ٣٦ .
- (٥١) ضيف ، شوقي : العصر العباسي الأول ، ط دار المعارف ، د.ت ، ص ١٠٣ .
- (٥٢) العمدة ، د. هاني : صورة البصرة في بخلاء الجاحظ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٠ ، ص ١٥٢ .
- (٥٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .
- (٥٤) الحاجري ، المصدر السابق ، ص ١٠١ .
- (٥٥) علي ، أمراء البيان ، ج ٢ ، ص ٣١٦ ؛ الشرقي ، علي : الجاحظ ، مجلة الاعتدال ، العدد ١ ، السنة ٤ ، ١٩٣٦ ، ص ٢٦٤ ؛ الكيالي ، المصدر السابق ، ص ٨ .
- (٥٦) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ١٦ ، ص ٨٤ .
- (٥٧) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٣٤٥ ؛ ج ٢ ، ص ٢٥٤ ؛ ج ٤ ، ص ١١ .
- (٥٨) الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٠٠ .
- (٥٩) الجاحظ ، الرسائل (فخر السودان) ، ج ، ص ١٨٣ .
- (٦٠) ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص ٣٨ .
- (٦١) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٦٢ .
- (٦٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٦ ، ص ٢٣٩ .
- (٦٣) الحاجري ، مؤرخ الحياة الشعبية ، ص ٣٠ - ٣١ .
- (٦٤) العمدة ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .
- (٦٥) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ٧٥ .
- (٦٦) الجاحظ ، البخلاء ، ص ١١٣ - ١١٢ ، ص ٢٠٥ .



- (٦٧) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .
- (٦٨) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج ١٦ ، ص ٨٥ .
- (٦٩) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .
- (٧٠) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج ١٦ ، ص ٨٥ .
- (٧١) العمد ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .
- (٧٢) الحاجري ، مؤرخ الحياة الشعبية ، ص ٣٠ .
- (٧٣) الحاجري ، مؤرخ الحياة الشعبية ، ص ٣٠ .
- (٧٤) خفاجي ، الجاحظ ، ص ٥٩ \_ ٦٠ .
- (٧٥) الحاجري ، مؤرخ الحياة الشعبية ، ص ٣٤ .
- (٧٦) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
- (٧٧) الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٨٣ \_ ١٨٤ .
- (٧٨) زكي ، د. احمد كمال : الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٦١ ، ص ٤٣ ؛ عويس . المصدر السابق ، ص ١٨ \_ ١٩ ؛ الحاجري ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ؛ ضيف ، د. شوقي : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ ، ١٩٧١ .
- (٧٩) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٢ ؛ الحاجري ، المصدر السابق ، ص ٩٤ ؛ النائلة ، عبد الجبار علوان : دور المسجد الجامع البصري في نشر الثقافة العربية ، مجلة الجامعة ، العدد ٥ ، السنة ٩ ، ١٩٧٩ ، ص ٨٥ .
- (٨٠) النائلة ، المصدر نفسه ، ص ٨٥ ؛ زكي ، الحياة الأدبية ، ص ٤٤ .
- (٨١) ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٨٧ .
- (٨٢) ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص ١١٧ .
- (٨٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٣١ .
- (٨٤) الجاحظ ، البيان ، ج ٣ ، ص ٥٧ - ٥٨ .
- (٨٥) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
- (٨٦) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٢ .
- (٨٧) الحاجري ، الجاحظ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
- (٨٨) احمد ، د. عزت السيد : فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص ١٧ .
- (٨٩) الحاجري ، المصدر السابق ، ص ١١٣ ؛ زكي ، الحياة الأدبية ، ص ٤٣ \_ ٤٤ .
- (٩٠) مطلوب ، احمد : البصرة في تراث الجاحظ ، مجلة المورد ، المجلد ١١ ، العدد ٤ ، ١٩٨٢ ، ص ٧ .
- (٩١) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٣١ .
- (٩٢) مطلوب ، المصدر السابق ، ص ٧ .
- (٩٣) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .
- (٩٤) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٣٦٧ .
- (٩٥) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٣٦٨ \_ ٣٦٩ .



- (٩٦) الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٠٤ .
- (٩٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .
- (٩٨) الجاحظ ، البيان ، ج ٤ ، ص ٢٣ .
- (٩٩) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٩ .
- (١٠٠) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ؛ ج ٢ ، ص ٩٣ ؛ ج ٣ ، ص ٢٢٠ ؛ الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ ؛ ج ٣ ، ص ١٣١ ، ص ٣٢٧ ، ٣٧٢ ؛ ج ٥ ، ص ٣٧٩ ؛ الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٢٣ .
- (١٠١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : البر صان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٨٠ .
- (١٠٢) الجاحظ ، البر صان ، ص ٣٢٨ .
- (١٠٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٣ .
- (١٠٤) الجاحظ ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .
- (١٠٥) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٢٥ .
- (١٠٦) بيلات ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .
- (١٠٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .
- (١٠٨) بيلات ، المصدر السابق ، ص ١٢٠ .
- (١٠٩) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ .
- (١١٠) السندوبي ، المصدر السابق ، ص ٢٧ .
- (١١١) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : البخلاء ، طبعه وشرحه وصححه : احمد العوامري بك وعلي الجارم ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ج ١ ، ص ٦٢ .
- (١١٢) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٤ .
- (١١٣) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٩ .
- (١١٤) الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٣٧ .
- (١١٥) الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٤٣ .
- (١١٦) الجاحظ ، البخلاء ، ص ١٣٨ .
- (١١٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .
- (١١٨) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٦٢٠ .
- (١١٩) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
- (١٢٠) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٢٤ - ٢٥ .
- (١٢١) أمين ، احمد : ضحى الإسلام ، ط ٧ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤ ، ج ٣ ، ص ٩٥ .
- (١٢٢) عباس ، د. عرفة حلمي : سخرية الجاحظ من خلال رسالة التريب والتدوير ، ط ١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٥ .
- (١٢٣) ضيف ، العصر العباسي الأول ، ص ٥٣٩ .



- (١٢٤) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٣٨ .
- (١٢٥) الجاحظ ، البيان ، ج ٢ ، ص ٩٣ - ٩٤ .
- (١٢٦) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٦ .
- (١٢٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ، ص ٥٢٣ - ٥٢٤ .
- (١٢٨) ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٣٩ .
- (١٢٩) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١ .
- (١٣٠) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٤ وما بعدها .
- (١٣١) بلات ، المصدر السابق ، ص ٣٤٤ .
- (١٣٢) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مط ، السعادة ، ١٩٥٨ ج ٥ ، ص ٨٥ - ٨٦ .
- (١٣٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٧ ، ص ٥٦ .
- (١٣٤) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٩١ .
- (١٣٥) الجاحظ ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .
- (١٣٦) الجاحظ ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .
- (١٣٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج ١ ، ص ٥٨ .
- (١٣٨) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٤ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ .
- (١٣٩) الجاحظ ، الحيوان ، ج ١ ، ص ٥٩ - ٦٠ .
- (١٤٠) الجاحظ ، الحيوان ، ج ١ ، ص ٦١ .
- (١٤١) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .
- (١٤٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .
- (١٤٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٤ ، ص ٢٥ .
- (١٤٤) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٧٢ .
- (١٤٥) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٣ ، ص ٤٢ .
- (١٤٦) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٥ ، ص ٤٦٨ .
- (١٤٧) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٧١ .
- (١٤٨) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ١١٥ .
- (١٤٩) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ١٩١ .
- (١٥٠) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ص ٣٣٣ .
- (١٥١) الجاحظ ، البيان ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .
- (١٥٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج ٧ ، ص ٧ .
- (١٥٣) بلات ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .
- (١٥٤) عباس ، سخرية الجاحظ ، ص ٣٤ .



- (١٥٥) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج١٦ ، ص ٨٥ .
- (١٥٦) الحاجري ، الجاحظ ، ص ٣٩٢ ؛ عزام ، المصدر السابق ، ص ١٥ .
- (١٥٧) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ١٦ ، ص ٥٢٦ ؛ ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١٦ ، ص ٨٥ ؛ ابن قاضي شهبه ، النحاة واللغويون ، ص ٤٥٧ .
- (١٥٨) ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٢١ ؛ ابن قاضي ، طبقات النحاة واللغويون ، ص ٤٥٧ .
- (١٥٩) عطوي ، فوزي : الجاحظ دائرة معارف عصره ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧١ ، ص ١٤ .
- (١٦٠) السمعاني ، ابوسعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ) : الأنساب ، تعليق : عبد الله عمر الباروني ، ط١ ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨ ، ج٢ ، ص ٦-٧ ؛ الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) : العبر في خبر من غير ، نسخة محققة على أصول مخطوطة بأشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ج١ ، ص ٤٥٦ .
- (١٦١) السمعاني ، المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٦-٧ .
- (١٦٢) الحسن بن وهب : أبو علي الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي كاتب من الشعراء كان معاصراً لأبي تمام وهو اخو سليمان وزير المعتز والمهتدي توفي نحو سنة ٢٥٠ هـ (ابن شاعر الكتبي ، الوفيات ، ج١ ، ص ١٣٦) .
- (١٦٣) ابن رشيقي ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ج٢ ، ص ٨٤ .
- (١٦٤) خفاجي ، المصدر السابق ، ص ٦٠ .
- (١٦٥) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ج١٥ ، ص ٧٤ ؛ خفاجي ، المصدر نفسه ، ص ٥٩ .
- (١٦٦) علي ، أمراء البيان ، ج١ ، ص ٣١٧ .
- (١٦٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٧١ .
- (١٦٨) ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ج٥ ، ص ٣٢٨ .
- (١٦٩) أبو ملحم ، د. علي : المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، دار الطليعة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٣٢-٣٣ .
- (١٧٠) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٧٠-١٧٦ .
- (١٧١) ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٧٠-١٧٦ .
- (١٧٢) ابن خلكان ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٧٠-١٧٦ .
- (١٧٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج٦ ، ص ١٦٢ .
- (١٧٤) الجاحظ ، البيان ، ج٤ ، ص ٩١ .
- (١٧٥) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ١١٨ .
- (١٧٦) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٨٠-١٨١ .
- (١٧٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ١٣١ .
- (١٧٨) ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٢٠-١٢١ .
- (١٧٩) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ٤٣٢-٤٣٣ .





- (١٨٠) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ١١٩ .
- (١٨١) علي بن محمد المدائني : هو أبو الحسن علي بن محمد عبد الله بن أبي سيف المدائني مولى شمس بن عبد مناف ومولده على ما رواه محمد بن يحيى عن الحسين بن فهم عنه انه قال ولدت سنة خمس وثلاثين ومائة ومات سنة خمس عشرة ومائتين وكان المدائني متكلماً من غلمان معمر بن الأشعث ومات المدائني سنة خمس وعشرين ومائتين (ابن النديم ، الفهرست ، ج١ ، ص ١٤٧ )
- (١٨٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج٧ ، ص ٢٣٧ .
- (١٨٣) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ، ص ١٧٣ .
- (١٨٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ، ص ١٢٦ .
- (١٨٥) الجاحظ ، الحيوان ، ج٧ ، ص ٢٥٤ .
- (١٨٦) المریديين : نسبة إلى المرید وان مرید البصرة من أشهر محالها وكان يكون سوق الإبل فيه وقديماً ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبه كانت مآخرات الشعراء ومجالس الخطباء (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٨٣ \_ ٨٤ )
- (١٨٧) المسجديين : وهم قوم اتخذوا المسجد منتدًى لهم وطال غشيانهم له فعرفوا به ونسبوا ولم يكونوا من صنف واحد بل كانوا خليطاً من الناس منهم الشعراء ومنهم الرواة ومنهم مصطنعوا الحكمة (الجاحظ ، البخلاء ، ص ٢٩٥ ) .
- (١٨٨) الجاحظ ، البيان ، ج٤ ، ص ٩٠ - ٩١ .
- (١٨٩) ابن المرتضى ، طبقات المعتزلة ، ص ٥٢ \_ ٥٤ .
- (١٩٠) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ٦٠ .
- (١٩١) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ٣٩٥ .
- (١٩٢) الجاحظ ، الحيوان ، ج٥ ، ص ٤٧٥ \_ ٤٧٦ .
- (١٩٣) البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني (ت ٤٢٩ هـ) : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعتي ، د.ت ، ص ١١١ .
- (١٩٤) الجاحظ ، الحيوان ، ج٤ ، ص ٣٢٠ .
- (١٩٥) الجاحظ ، الحيوان ، ج٥ ، ص ١٨٧ .
- (١٩٦) الجاحظ ، البخلاء ، ص ٣٨ .
- (١٩٧) الجاحظ ، الحيوان ، ج٢ ، ص ٢٢٩ \_ ٢٣٠ .
- (١٩٨) الجاحظ ، الحيوان ، ج٣ ، ص ٣٩٤ \_ ٣٩٥ .
- (١٩٩) حفاجي ، الجاحظ ، ص ٥٩ .
- (٢٠٠) حفاجي ، الجاحظ ، ص ٥٩ .
- (٢٠١) حفاجي الجاحظ ، ص ٥٩ .
- (٢٠٢) حفاجي ، الجاحظ ، ص ٦٠ .
- (٢٠٣) الحاجري ، مؤرخ الحياة الشعبية ، ص ٢٨ .
- (٢٠٤) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ج٧ ، ص ١٦٨ .
- (٢٠٥) ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج٧ ، ص ١٦٨ .



- (٢٠٦) الجاحظ، البيان، ج ١، ص ١٣٥ .
- (٢٠٧) عزام، المصدر السابق، ص ٢٠ .
- (٢٠٨) الجاحظ، الرسائل (التربيع والتدوير)، ص ١٩ .
- (٢٠٩) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ١٦، ص ٧٥ .
- (٢١٠) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٢٠٦ .
- (٢١١) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٧٥؛ ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٣٩ .
- (٢١٢) ابن المعتز، البديع، ص ٥٣ .
- (٢١٣) الجنابي، احمد نصيف: منهج الجاحظ في البيان، مجلة المعلم الجديد، ص ٢٦ .
- (٢١٤) الجنابي، المصدر نفسه، ص ٢٦؛ الحاجري، الجاحظ، ص ١٣٣ .
- (٢١٥) أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٥١؛ حسين، سخرية الجاحظ، ص ١٣٣ \_ ١٣٤ .
- (٢١٦) أمين، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٥١؛ حسين، سخرية الجاحظ، ص ١٣٣ \_ ١٣٤ .
- (٢١٧) الابراشي، محمد عطيه والتوانسي، أبو الفتوح محمد، سلسلة تراجم أعلام الثقافة العربية ونوابغ الفكر الإسلامي، المجموعة الثانية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، د.ت، ص ٤٨؛ حسين، سخرية الجاحظ، ص ١٣٤ .
- (٢١٨) جار الله، المعتزلة، ص ١٣٤ .
- (٢١٩) عبد الغني، المصدر السابق، ص ١٥٢ .
- (٢٢٠) طنوس، وهيب: في النثر العباسي، جامعة حلب، كلية الآداب، ١٩٦٠، ص ١١٣ .
- (٢٢١) ضيف، الفن ومذاهبه، ص ١٥٥؛ الكتاني، محمد وآخرون: دراسة المؤلفات الجديدة، رسالة الكندي للجاحظ، مطبعة النجاشي الجديدة، الدار البيضاء، ج ١، ص ٥٢ \_ ٥٣ .
- (٢٢٢) اليسوعي، الأب فيكتور شلحت: النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ، ص ١١ .
- (٢٢٣) سلام، محمد زغلول: دراسات في الأدب العربي، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص ٤٣٦؛ سلام، محمد زغلول: الأدب في عصر العباسيين، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٥٦ .
- (٢٢٤) جار الله، زهدي حسن: المعتزلة: مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٧ .
- (٢٢٥) الحاجري، الجاحظ، ص ٩٦ .
- (٢٢٦) عطوي، الجاحظ دائرة معارف، ص ١٣ .
- (٢٢٧) بلات، المصدر السابق، ص ٢٤١ \_ ٢٦٣ .
- (٢٢٨) بلات، المصدر نفسه، ص ١٣١ .
- (٢٢٩) اليسوعي، المصدر السابق، ص ١٣ .
- (٢٣٠) ابن النديم، الفهرست، ص ١٦٩ .
- (٢٣١) الهيتي، حميد مخلف: من مظاهر التفوق البلاغي في أدب الجاحظ، مجلة الضاد، ج ٢، ١٩٨٩، ص ٢٠٣ .
- (٢٣٢) خفاجي، أبو عثمان، ص ٦٣ .
- (٢٣٣) أبو علي، المصدر السابق، ص ١٩ .



- (٢٣٤) جبري ، شفيق : الجاحظ معلم العقل والأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص ٢٦٨ ؛ جبري ، شفيق : الجاحظ معلم العقل والأدب ، مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ١١ ، الجزء ١ و ٢ ، ١٩٣١ ، ص ٦٠ .
- (٢٣٥) الأبراشي ، المصدر السابق ، ص ١١ .
- (٢٣٦) الحاجري ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ ؛ ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٨٧ ؛ العزاوي ، المصدر السابق ، ص ٧٢ ؛ الهيتي ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
- (٢٣٧) الحاجري ، المصدر نفسه ، ص ١٥٩ ؛ ضيف ، العصر العباسي الثاني ، ص ٥٨٨ ؛ العزاوي ، المصدر نفسه ، ص ٧٢ ؛ الهيتي ، المصدر نفسه ، ص ٢٠١ .

## المصادر :

١. الأبراشي ، محمد عطيه والتوانسي ، أبو الفتوح محمد ، سلسلة تراجم أعلام الثقافة العربية ونوابع الفكر الإسلامي ، المجموعة الثانية ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت.
٢. أحمد ، د. عزت السيد : فلسفة الأخلاق عند الجاحظ ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ .
٣. أمين ، احمد : ضحى الإسلام ، ط ٧ ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤ .
٤. لبصير ، محمد مهدي : في الأدب العباسي ، ط ٣ ، ١٩٧٠ .
٥. البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الاسفرائيني (ت ٤٢٩ هـ) : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مط المدني ، د.ت.
٦. بلات ، د. شارل : الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء ، ترجمة : د. إبراهيم الكيلاني ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، ١٩٦١ .
٧. جار الله ، زهدي حسن : المعتزلة : مطبعة مصر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
٨. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) : البخلاء ، طبعه وشرحه وصححه : احمد العوامري بك وعلي الجارم ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .
٩. البر صان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٢ .
١٠. الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت.
١١. رسائل الجاحظ ، رسالة الأوطان والبلدان ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
١٢. البيان والتبيين ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، ط ٥ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٥ .



١٣. البخلاء ، حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري ، دار المعارف ، مصر ، د. ت .
١٤. جبر ، جميل : الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد ، دار صادر بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
١٥. جبري ، شفيق : الجاحظ معلم العقل والأدب ، مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ١١، ج ١ و٢ ، ١٩٣١ .
١٦. الجاحظ معلم العقل والأدب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
١٧. جعفر ، نوري : الجوانب السايكولوجية في أدب الجاحظ ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١ .
١٨. الجنابي ، احمد نصيف : منهج الجاحظ في البيان ، مجلة المعلم الجديد .
١٩. الحاجري ، د. محمد طه : الجاحظ حياته وأثاره ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، ١٩٨٨ .
٢٠. الجاحظ مؤرخ الحياة الشعبية ، مجلة المورد ، المجلد ١٢ ، العدد ١ ، ١٩٨٣ .
٢١. حسين ، السيد عبد الحليم محمد : السخرية في أدب الجاحظ ، الدار الجماهيرية ، ليبيا ، ط ١ ، ١٩٨٨ ،
٢٢. الحمود ، د. محمد حسن : دور البصرة في التراث العلمي ، بحث الفلسفة الحيوانية والمنهج العلمي عند الجاحظ ، مركز أحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، د. ت .
٢٣. الخطيب البغدادي ، أبو بكر احمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ .
٢٤. خفاجي ، محمد عبد المنعم : أبو عثمان الجاحظ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٣ .
٢٥. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. أحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨ .
٢٦. الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) : العبر في خبر من غبر ، نسخة محققة على أصول مخطوطة بأشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٧ .
٢٧. سير أعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، ط ١١ ، اشرف على تحقيق الكتاب شعيب الارنؤوط ، بيروت ، ٢٠١١ .
٢٨. ابن رشيقي ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢ .
٢٩. لرفاعي ، د. احمد فريد : عصر المأمون ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٢٨ .
٣٠. زكي ، د. احمد كمال : الجاحظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .
٣١. الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٦١ .



الدراسات

الميدانية



٣٢. سلام ، محمد زغلول : دراسات في الأدب العربي ، الناشر منشأة المعارف ، الإسكندرية ، د.ت .
٣٣. الأدب في عصر العباسيين ، الناشر منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ .
٣٤. السندوبي ، حسن : أدب الجاحظ ، المطبعة الرحمانية ، ط١ ، ١٩٣١ .
٣٥. السمعاني ، ابوسعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ) : الأنساب ، تعليق : عبد الله عمر الباروني ، ط١ ، دار الجنان ، بيروت ، ١٤٠٨ .
٣٦. سنقر ، د. صالحه : المرأة عند الجاحظ بين دافعية النمو ودافعية النقص ، مجلة التراث العربي ، العدد ٦١ ، السنة ١٦ ، ١٩٩٥ .
٣٧. الشرقي ، علي : الجاحظ ، مجلة الاعتدال ، العدد ١ ، السنة ٤ ، ١٩٣٦ .
٣٨. طنوس ، وهيب : في النثر العباسي ، جامعة حلب ، كلية الآداب ، ١٩٦٠ .
٣٩. ضيف ، د. شوقي : الفن ومذاهبه في النثر العربي ، دار المعارف ، مصر ، ط٦ ، ١٩٧١ .
٤٠. العصر العباسي الأول ، طدار المعارف ، د.ت .
٤١. العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، د.ت .
٤٢. عباس ، د. عرفة حلمي : سخرية الجاحظ من خلال رسالة التبريع والتدوير ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٧ .
٤٣. عبد الغني ، عامر عطا : دور البصرة في التراث العلمي ، بحث الجاحظ وتراثه العلمي ، مركز أحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، د.ت .
٤٤. عزام ، د. محفوظ علي : في الفلسفة الطبيعية عند الجاحظ ، دار الهداية للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٥ .
٤٥. ابن عساكر ، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عبد الله الشافعي (ت ٤٩٩ هـ) : تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق : محب الدين ابن سعيد عمر بن عزامه العمروني ، دار الفكر ، ط١ ، ١٩٩٦ .
٤٦. عطوي ، فوزي : الجاحظ دائرة معارف عصره ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧١ .
٤٧. علي ، محمد كرد : أمراء البيان ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ .
٤٨. أبو علي ، د. محمد بركات حمدي : سخرية الجاحظ من بخلائه ، ط٢ ، الأردن ، مكتبة الأقصى ، ١٩٨٢ .
٤٩. ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط١ ، المكتب التجاري ، بيروت ، د.ت .



٥٠. العمدة ، د. هاني : صورة البصرة في بخلاء الجاحظ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٩٠ .
٥١. عويس ، د. محمد : المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
٥٢. ابن قاضي شهبه ، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت ٨٥١ هـ) : طبقات النحاة واللغويين مصورة الأوقاف برقم ١١١ عن مخطوطة الظاهرية .
٥٣. الكتاني ، محمد وآخرون : دراسة المؤلفات الجديدة ، رسالة الكندي للجاحظ ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء .
٥٤. ألكيالي ، سامي : النفس الإنسانية في أدب الجاحظ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦١ .
٥٥. ابن المرتضى ، أحمد بن يحيى (ت ٨٤٠ هـ) : المنية والأمل ، اعتنى بتصحيحه توما ارتلو ، مطبوعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ، ١٣١٦ هـ .
٥٦. طبقات المعتزلة ، تحقيق : سوسنة ديفلد فلزر ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت .
٥٧. المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبوعة السعادة ، ١٩٥٨ .
٥٨. مطلوب ، أحمد : البصرة في تراث الجاحظ ، مجلة المورد ، المجلد ١١ ، العدد ٤ ، ١٩٨٢ .
٥٩. أبو ملحم ، د. علي : المناحي الفلسفية عند الجاحظ ، دار الطليعة ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٠ .
٦٠. النائلة ، عبد الجبار علوان : دور المسجد الجامع البصري في نشر الثقافة العربية ، مجلة الجامعة ، العدد ٥ ، السنة ٩ ، ١٩٧٩ .
٦١. ابن نباته ، جمال الدين محمد بن شمس الدين محمد ابن شرف الدين الفارقي (ت ٧٦٨ هـ) : شرح العيون شرح رسالة ابن زيدون ، تحقيق : أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٤ .
٦٢. النجم ، وديعة طه : الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، منشورات دار الجاحظ ، بيروت ، ١٩٨٢ .
٦٣. ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥ هـ) : فهرست ابن النديم مطبوعة الاستقامة ، القاهرة ، د. ت .
٦٤. نوفل ، د. سيد : أبو عثمان الجاحظ في أسلوب الأديب المجدد والعالم الفيلسوف ، مجلة الهلال ، العدد ٩ ، السنة ٨١ ، ١٩٨٣ .
٦٥. الهاشمي ، عبد المنعم : العلماء والعباقرة المسلمون ، دار البحار ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
٦٦. الهيتي ، حميد مخلف : من مظاهر التفوق البلاغي في أدب الجاحظ ، مجلة الضاد ، ج ٢ ، ١٩٨٩ .

